السنة الرابعة
العددان السابع والثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك السنوي
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تلفون ٥١٣٩٣

العددان السابع والثامن « السنة الرابعة » عن شهرى ديسمبر ١٩٦١ ويناير ١٩٦٢

رسالة التصوف الاسلامى

ومكانها من الفكرة الإسلامية

لسماحة السيد محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

فى ألسنة بعض الباحثين ، وفى أقلام بعض المفكرين ، فكرة قلقة عن التصوف الإسلامى ورسالته .

يتساءلون دائماً كيف نشأ التصوف ؟ وكيف استقل بمنهجه وأذواقه فى السلوك والمعرفة ؟ وما هى رسالته التى تميزه وتخصصه فى الأفق الإسلامى ؟ وما حدود هذه الرسالة ، وما صلتها بالله ؟ وما هو أثرها فى الحياة ؟

وإلى هؤلاء وهؤلاء ، وإلى الباحثين عن الحقيقة، نسوق الحديث مدعما بالدليل، التاريخى ، والعلمى ، والذوق .

لقد بدأ التصوف الإسلامى ، فى قلب المجتمع الإسلامى ، منبثقاً من القرآن ، ومن هدى الرسول ، بدأ كما بدأ الفقه ، والحديث ، وعلم الكلام ، وسائر ألوان المعرفة التى شكلت الثقافة الإسلامية ، وعبرت عن جوهرها وطبيعتها .

لقد كان الصحابة جميعاً رضوان الله عليهم ، نماذج كاملة للفكرة الإسلامية الشاملة سلوكا ومعرفة .

كانوا علماء وفقهاء ، وزهادا وعبادا ، ومجاهدين فى سبيل الله، وفى سبيل الكمال النفسى والخلق .

فلما حدث الأنقسام والانشطار بين العقيدة والسلوك . وأقبل قوم على الشهوات والرغبات ، وأقبل آخرون على الخصومات والرياسات واحترف غيرهم الجدل والحوار فى الذات والصفات ، تميز المعتصمون بهدى الصدر الأول ، العاكفون على قلوبهم بالتحلية والتخلية ، المراقبون الله فى أنفاسهم وأعمالهم بأسم الصوفية .

يقول علامة التاريخ الإسلامى ابن خلدون فى مقدمته : « التصوف من العلوم الشرعية ، وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور ، من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق إلى الحق ، وكان ذلك عاما فى الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح ، ولما عم الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلون على العبادة بأسم الصوفية » .

ويقول الإمام القشيرى فى رسالته محدداً هذه البداية ،شارحا لها : « فلما اختلف الناس ، وتباينت المراتب ، قيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين ، الزهاد والعباد : ظهرت البدع وحصل التداعى بين الفرق ، فكل فريق أدعوا أن فيهم زهاداً ، فانفرد خواص أهل السنة ، المراعون أنفاسهم مع الله تعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة بأسم التصوف والصوفية » .

ذلك هو التخصص فى التسمية وسره ، أما التخصص فى المنهج الروحى ، ذلك التخصص الذى انجب لنا هذه الآداب والمثل فى المعرفة والسلوك فقد جلاه لنا العارف الإمام الشعرانى بقوله : « التصوف عبارة عن علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها ، نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها » .

ذلك هو الفيصل : لقد انبثقت المعرفة الصوفية بكل ما تشتمل عليه من أحوال ومقامات ومذاقات وفيوضات وإلهامات ومثاليات ، انبثقت هذه المعرفة فى القلوب المخبتة لله ، حينما استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، تطبيقاً وتصديقاً لقوله صلوات الله وسلامه عليه : « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم » .

أما حد التصوف ورسمه ، فقد كثرت أقوال الصوفية وتعددت فى وصفه ونعته.

يقول ذو النون المصرى : التصوف هو الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من كل خلق دنى » .

ويقول سهل بن عبد الله التسترى : الصوفى من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله دون البشر ، واستوى عنده المال والمدر » .

ويقول معروف الكرخى : هو الكشف عن الحقائق . واليأس مما فى أيدى الخلائق » .

ويصف إبراهيم بن أدهم الطريق الصوفى بقوله : أعلى الدرجات أن تنقطع إلى ربك ، وتستأنس إليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك حتى لا ترجو إلا ربك ، ولا تخاف إلا ذنبك ، وترسخ محبته فى قلبك حتى لا تؤثر عليه شيئاً » .

ويقول الخواص : ليس هو القلقلة باللسان ، وإنما هو أذواق ووجدان ، ولا يؤخذ من الأوراق ، وإنما يؤخذ من أهل الأذواق وليس ينال بالقيل والقال ، وإنما يؤخذ من صحبة أهل الكمال .

ويقول سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد : التصوف تصفية للقلب عن موافقة

البرية ، ومجانبة الدواعى النفسية ، وحيازة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الشريعة » .

ويقول أبو الحسين النورى : التصوف الحرية والكرم . والسخاء وترك التكلف .

ويقول : الصوفى من أحس قلبه السلامة من الدنيا كما أحسها قلب إبراهيم فأطاع أوامر الله . ومن كان تسليمه كتسليم إسماعيل وحزنه كحزن داود ، وزهده كزهد عيسى ، وشوقه كشوق موسى : وإخلاصه كإخلاص محمد صلوات الله وسلامه عليهم » .

ويقول العارف الشيخ زروق : قد حُد التصوف ورُسم وفسر بوجوه تبلغ الألفين ، ترجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى وإنما هى وجوه :

وهذه التعريفات للتصوف ، تصور لنا جوانب من التصوف وتعبر عن اتجاهات له . ولكن التصوف فى جوهره عندى : هو الصلة الحية الحارة بالله سبحانه وتعالى . هو علاقة حب ومعرفة بالله ، هو تخلق بأخلاق الله ، هو الربانية التى ترتفع بالإنسان إلى أعلى وأسمى صور الكمال ، هو المراقبة والمحاسبة ، هو الحساسية اليقظة المتفتحة لملكوت السموات والأرض ، هو تجربة ذاتية للوصول إلى الإنسان الكامل خلقاً وعملا ومعرفة .

أما ماهية التصوف ومنهجه وطريقه . فيقول أبو القاسم الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام » .

ويقول حجة الإسلام الغزالى : فماذا يقول القائلون فى طريقة أولها وهى أول شرائطها . تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى . ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم من الصلاة ، استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية فى الله تعالى .

ويقول أيضاً : الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة . وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمعوا عقل العقلاء وحكمة الحكماء . وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً

من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلونه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به » .

ويقول أبو الحسن الشاذلى موضحا للدستور الصوفى فى السلوك: لاتنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تجلس إلا حيث تأمن معصية الله ، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله ، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقيناً » .

ويقول أبو اليزيد البسطامى : لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تجدوه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة » .

ويقول العارف الشعرانى : إذا رأيت من فتح له فى التصديق بهذه الطريقة فبشره ، وإذا رأيت من فتح له فى الفهم فاغبطه وإذا رأيت من فتح له فى النطق فيه فعظمه ، وإذا رأيت منتقداً ففر منه فرارك من الأسد وأجره :

أما تخصص التصوف ورسالته فيوضحها لنا العلامة السراج الطوسى فى منطق علمى رائع . فيقول :

«فليس من مذهبهم النزول على الرخص وإنما مذهبهم الأخذ بالأقوى وبالأكمل . وليس من مذهبهم التأويل . وليس من منهجهم الترف والتعالى والتغاضى عن دقيق الشهوات النفسية والقلبية .

ثم أنهم بعد ذلك ارتقوا إلى درجات عالية ، وتعلقوا بأحوال شريفة ومنازل رفيعة من أنواع العبادات وحقائق الطاعات .

ومن أخلاقهم التى اختصوا بها القناعة بقليل الدنيا عن كثيرها وترك العلو والترفع ، وبذل الجاه للمحتاج ، والشفقة على الخلق والتواضع والإيثار . وبذل الندى وكف الأذى . وحسن الظن بالله والإخلاص والمسابقة فى الطاعات والمسارعة إلى الخيرات والتوجه إلى الله تعالى والانقطاع إليه والصبر على بلائه والرضا عن قضائه والصبر على دوام المجاهدة ومخالفته الهوى ومجانبة حظوظ النفس والمخالفة لها .

ثم أن من آدابهم مراعاة الأسرار ، ومراقبة الملك الجبار ، ومداومة المحافظة على القلوب بنفى الخواطر المذمومة ، ومساكنة الأفكار الشاغلة التى لا يعلمها غير الله عز وجل . حتى يعبدوا الله تعالى بقلوب حاضرة ، وهموم جامعة .

وللصوفية التخصص الأعلى فى أمراض النفس والقلب ودقيق الرياء ، والشهوة الخفية ، والشرك الخفى وطريق الخلاص من ذلك كله مع الأنابة الكاملة إلى الله .

والصوفية تخصص فى علوم مشكلة على الفقهاء والمحدثين . تخصصوا فى العوائق والعوارض والحجب وخفايا السر ، ومقامات الإخلاص وأحوال العارفين ، وحقائق الذكر ، ودرجات القرب ومنازل التفريد ، وحقائق العبودية ، وفناء رؤية الأعواض وبقاء رؤية المعطى ، وعبور الأحوال والمقامات .

ذلك بعض تخصص التصوف فى العالم . وذلك بعض رسالته . وهو تخصص ورسالة ليست لسواه . أنه وحده الذى يحلق فى الأفق الأعلى الرسالة الإسلامية . وهو وحده الذى تخلق بخلق هذا الأفق وذاقه وتعلق به .

أنه وحده الذى يحمل رسالة الصدر الأول من الصفوة . رسالة العقيدة الكاملة . وتلك رسالة لا ينهض بها إلا أهل الله وأحبابه .

المذهب الصوفى

لسهل بن عبد الله التسترى

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

(١)

سهل بن عبد الله ، أحد أعلام الطريق إلى الله ، يقول عنه « العلامة المناوى : حبر تجمل الإسلام بوجوده ، وزين طريق الصوفية بقلائد فوائده وعقوده . كان أوحد زمانه ، أخذ عنه الأكابر طبقة بعد طبقة » .

وسهل من شيوخ الجنيد ، وعلى يديه ، تربى كبار الشيوخ فى الطريق .

ومذهب سهل فى التصوف يدور على محورين ، معرفة الله سبحانه وتعالى . معرفة قلبية يقينية قوامها المحبة والشوق والمشاهدة مع ارتباط هذه المعرفه دائما أبداً بالكتاب والسنة .

والمحور الثانى هو التخلق بالأخلاق الإلهية . لأن معرفة الله وحبه ينجبان التخلق بخلقه .

ومن هنا جعل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، العنوان الأكبر لرسالته بعد التوحيد ، قوله : « وإنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

ولهذا جعل سهل التصوف هو الخلق ، وحصر رسالته فى هذه الدائرة . فكل من من زاد عليك فى خلقه زاد عليك فى تصوفه .

يقول سهل : « ... التصوف ليس رسما ولا علما ولكنه خلق ، لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة ، ولو كان علما لحصل بالتعليم ، ولكنه تخلق بأخلاق الله ، ولن تستطيع أن تقبل على الاخلاق الإلهية بعلم ورسم .

ويقول : « لاتفتش عن مساوىء الناس ، ولكن ، فتش عن أخلاق الإسلام ، وماحالك فيه ، حتى يعظم قدره فى نفسك ، وتجتهد فى القلبس بتلك الأخلاق » .

ويقول السراج الطوس : ذكر عند سهل بن عبد الله رحمه الله الكرامات فقال : وما الآيات ؟ وما الكرامات ؟ شىء ينقضى لوقته ، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود » .

ويجعل سهل من الأخلاق ، سلسلة متماسكة الحلقات يأخذ بعضها بعنان بعض ، حسنها وسيئها فيقول :

« من أراد أن يسلم من الغيبة فليسد على نفسه باب الظنون ، فمن سلم من الظن ، سلم من التجسس ، ومن سلم من التجسس ، سلم من الغيبة ، ومن سلم من الغيبة سلم من الزور ، ومن سلم من الزور سلم من البهتان .

والأخلاق عند سهل ، هى البراق الذى يصعد الإنسان عليه ، وينال به التوفيق فى الدنيا والآخرة ، فيقول :

« ... لا يستحق إنسان الرياسة حتى يجتمع فيه أربع خصال . يصرف جهله عن الناس ، ويحمل جهلهم ، ويترك ما فى أيديهم ، ويبذل ما فى يده لهم » .

ويقول : « ... من أخلاق الصديقين ألا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين ، ولا يغتابون ولا يغتاب عندهم ، ولا يشبعون بطونهم ، وإذا أوعدوا لم يخلفوا ، ولا يتكلمون إلا والاستثناء فى كلامهم ، ولا يمزحون أصلا » .

وفتن الدنيا القاصمة عند سهل ثلاث ، فتنة العامة من إضاعة العلم ، وفتنة الخاصة من الرخص والتأويلات ، وفتنة أهل المعرفة ، من أن يلزمهم حق فى وقت فيؤخرونه لى وقت ثان !

والعيش فى هذه الدنيا على أربعة أوجه ؟ عيش الملائكة فى الطاعة ، وعيش الأنبياء فى العلم وانتظار الوحى ، وعيش الصديقين فى الاقتداء ، وعيش سائر الناس عالما كان أو جاهلا ، زاهدا كان أو عابداً ، فى الأكل والشرب » وسهل هنا يجعل الصوفية من الصديقين .

وسئل عن الصوفى فقال : من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر :

وسئل عن المحبة فقال : « موافقة القلوب لله ، والتزام الموافقة لله ، واتباع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مع دوامة الشغف بذكر الله تعالى ، ووجود حلاوة المناجاة لله عز وجل » .

وسئل عن الأنس فقال : أول الأنس من العبد أن تأنس النفس والجوارح بالعقل ويأنس القلب والنفس بعلم الشرع ، ويأنس العقل والنفس والجوارح بالعمل لله خالصاً ، فيأنس العبد بالله ، أى يسكن إليه » .

ويقول سهل : « أصولنا سبعة أشياء ، التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكف الاذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق » .

ويقول : « الولى من توالت أعماله على الموافقة » ويقول : علامة المؤمن الكامل أن لا يخاف أحداً دون الله ، إن الله تعالى قال لآدم : أنا الله لا إله إلا أنا فمن رجى غير فضلى ، وخاف غير عدلى لم يعرفنى » .

وقال : « حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله تعالى » وقال : « إن الله مطلع على القلوب فى ساعات الليل والنهار فأيما قلب رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس » .

ويقول : « التوبة فرض على العبد فى كل نفس .. ومن انتقل من نفس إلى نفس بغير ذكر الله فقد ضيع حاله » .

ويقول : « من طعن على الاكتساب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان » .

وقيل له : ما أغرب الأشياء ؟ قال : قلب عرف الله ثم عصاه :

وقال : « البلوى قسمان ، بلوى رحمة ، وبلوى عقوبة ، فبلوى الرحمة تبعث صاحبها

على إظهار فقره وفاقته إليه تعالى ، وترك تدبير نفسه واختياره ، وبلوى العقوبة ، تبعثه على اختيار نفسه وتدبيره » .

وقال : جعل العلم والحكمة فى الجوع ، وجعل المعصية والجهل فى الشبع :

وقال : ما عبد الله بشىء أفضل من مخالفة الهوى فى ترك الحلال :

وقال : إنما صار الإبدال إبدالا ، بأخماص البطون ، و الصمت ، والسهر ، والخلوة .

وقال : من انتقل من نفس إلى نفس بغير ذكر فقد ضيع حاله :

وقال: من لم يكن مطعمه من حل لم يكشف عنه حجاب ، وقال : أعظم مايحجب به العبد عن مشاهدة الملكوت ، وعن دخول حضرة الله سوء المطعم ، وأذى الخلق وقال : حياة القلب الذى يموت بذكر الحى الذى لا يموت .

وقال : التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد ، وقال : ليس بين العبد حجاب أغلظ من الدعوى ، ولا طريق أقرب إلى الله من الذلة والافتقار :

وقال : العلوم ثلاثة ، علم ظاهر يبذل لأهل الظاهر ، وعلم باطن لايظهر إلا لأهله خوف الفتنة ، وعلم بين العبد وربه ، يستحيل إظهاره لأحد من الخلق ، وسئل عن الإسم الأعظم فقال : أروني الأصغر أريكم الأعظم ؟ أسماء الله كلها عظيمة ، أصدق وخذ أى إسم شئت يفعل معك .

وقال : أول دلائل المحبة دوام ذكر المحبوب ، ولا يستقر ذلك فى صميم القلب إلا بعد أن يكون التصديق والتحقيق زاده والتسليم والرضا مراده .

وقال : إن الله حجب عقول الخلق بحجب لطفية ، فحجب العلماء عنه بالعلم ، والزهاد بالعمل ، والحكماء بلطائف الحكمة ، أما العارفون فأسكن قلوبهم من نور معرفته ، فلم يحجبهم بشىء .

وقال : يتفاضل الناس يوم القيامة بقدر يقينهم ، فمن كان أغزر يقينا كان من دونه فى ميزانه وأدنى مراتب اليقين ، الثقة بالله ، وأدنى مراتب التوكل ترك الاختيار.

يقول أبو طالب المكى : « كان أمامنا أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول : لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان ، حتى يكون فيه هذه الأربع . أداء الفرائض بالسنة ، وأكل الحلال بالورع ، واجتناب النهى ، من الظاهر والباطن والصبر على ذلك حتى الممات »

وعن ابن عصام يقول : « سمعت سهل بن عبد الله يقول : لا معين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله ، ولا زاد إلا التقوى ، ولا عمل إلا الصبر ، الأعمال بالتوفيق ، والتوفيق من الله ، ومفتاحها الدعاء والتضرع .

« البحث مستمر »

صفحات ونفحات

التصوف علم و عمل و أخلاق

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب جامعة القاهرة

للتصوف الإسلامى فى نشأته وتطوره أطوار مختلفة تعاقبت عليه، وتعريفات عدة تعددت بتعدد الصوفية ، وتفاوتت بتفاوت الطرق التى اصطنعها كل من الصوفية فى رياضة نفسه ، وتباينت بتباين المسالك التى سلكوها ، والمذاهب التى ذهبوا فى فهم معنى التصوف وتحديد موضوعه وبيان غايته . ولكن هذه التعريفات على كثرتها وتعدد أصحابها ، وتلك الأطوار على تعاقبها واختلاف العوامل التى عملت عملها فى كل طور منها ، إذا أحصيت واستقصيت وفهمت مبانيها ومراميها فهما يقوم على الموازنة والمقارنة والملاءمة ، يمكن أن يستخلص منها معنى جامع هو أشمل مايكون لمعانى التصوف المختلفة ، وأدل ما يكون على حقيقته فى أطواره المتعاقبة ، لا سيما ما كان من هذه الأطوار متعلقا بتكوين التصوف تكويناً علمياً يجعل منه علماً خاصاً ببواطن القلوب وما يجرى على هذه البواطن من أحكام،ومقابلا لطائفة من العلوم الشرعية الإسلاميه التى تعنى بظاهر الأحكام سواء ما يجرى من هذه الأحكام ، على الجوارح كما هو الشأن فى علم الفقه ، أو ما يجرى منها على العقائد كما هو الشأن فى علم الكلام : فالتصوف الإسلامى باعتباره علما لبواطن القلوب يمكن أن يعرف بأنه رياضة القلب ومجاهدة النفس بحيث تحصل الأذواق وتقع المشاهدات . وفى هذه المشاهدات وتلك الأذواق تنكشف الحقائق ، وتعرف الدقائق ، ويعرف الإنسان ربه معرفة يقينيه لا يأتيها

الشك من بين يديها ولا من خلفها، ويستشعر من معرفته هذه سعادة لا تعدلها سعادة أخرى مهما كانت هذه السعادة حسية أو عقلية .

والتصوف بهذا المعنى الجامع ليس علما فحسب ، ولا عملا فحسب ، وإنما هو علم وعمل معاً : فهو علم بما ينبغى أن يعرفه الإنسان من أمر نفسه وطبيعتها وآفاتها وخواطرها ، وما تصفو به وتنقى ، وتسمو به وترقى من ألوان الرياضة والمجاهدة ، ووسائل التصفية والتنقية ، ثم هو عمل بما علمه الإنسان من هذا كله ، وتحقيق له وتحقق به فى حياته الخاصة والعامة سواء فيما بينه وبين نفسه ، أو فيما بينه وبين أشباهه ، أو فيما بينه وبين ربه ، وذلك كله على وجه تتحقق فيه المثل الأخلاقية العليا التى ينتفى معها الشر ويتحقق فيها الخير . على أن هذا العمل بما علمه الإنسان من شأنه أن يوصل صاحبه إلى علم آخر أرقى وأسمى من العلم الأول ، وهذا العلم الآخر لا يحصل عن طريق الدراسة ، ولا يتلقى على يد معلم ، وإنما هو نور يقذفه الله فى قلب العبد ، وقد رق حسه وصفت نفسه وانجابت الحجب عن عين قلبه بفضل ما أخضع له نفسه من مجاهدة ، وما أخذ به قلبه من رياضة ، وهذا العلم الذى يأتى بعد العمل هو الذى يطلق عليه الصوفية أسم المعرفة أو العرفان الذى تحصل فيه المشاهدة والعيان ، ويتميز بإنه وهبى من لدن الله عن العلم السابق على العمل ، فإن هذا كسبى يأتى من جانب الإنسان ، ويرجع إلى ما يبذله فى سبيل تحصيله من جهد ، ويقوم على الدليل والبرهان بقدر ما يستند العرفان على المشاهدة والعيان . ومن هنا يتبين وجه العلاقة بين العلوم الكسبية الإنسانية وبين الوهبية الألهية ، كما يتبين أن العلوم الكسبية الإنسانية إنما هى من العلوم الوهبية الألهية بمثابة المدخل لها ، أو التمهيد الذى يهيىء نفس السالك وقلبه وعقله بحيث يصبح أهلا لأن تشرق فى باطنه أنوار العرفان الإلهى أو المعرفة اللدنية . وقد أبان أبو بكر محمد بن أسحق البخارى الكلاباذى المتوفى سنة ٣٨٠ هـ - ٩٩٠ م فى معرض حديثه عن علوم الصوفية وإثباته أنها علوم أحوال ، عن أصناف العلوم التى ينبغى أن يقف عليها ويتحقق بها السالك طريق الصوفية فيما هو بسبيله من تصحيح أعماله ، وذلك فى قوله : « وأول تصحيح الأعمال معرفة علومها ، وهى علم الأحكام الشرعية من أصول الفقه ، من الصلاة والصوم وسائر

الفروض ، إلى علم المعاملات من النكاح والطلاق والمبايعات وسائر ما أوجب الله تعالى وندب إليه وما لا غناء به عنه من أمور المعاش، وهذه علوم التعلم والاكتساب: فأول مايلزم العبد الاجتهاد فى طلب هذا العلم وأحكامه على قدر ما أمكنه ووسعة طبعه، وقوى عليه فهمه بعد إحكام علم التوحيد والمعرفة على طريق الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح عليه بالقدر الذى يتيقن بصحة ما عليه أهل السنة والجماعة ، فإن وفق لما فوقه من نفى الشبه التى تعترضه من خاطر أو ناظر فذاك ، وإن أعرض عن خواطر السوء اعتصاما بالجملة التى عرفها ، ونجاق عن الناظر الذى يحاجه فيه ويجادله عليه وباعده ، فهو فى سعة إن شاء الله عز وجل ، واشتغل باستعماله علمه وعمل بما علم : فأول ما يلزمه علم آفات النفس ومعرفتها ورياضتها وتهذيب أخلاقها ومكائد العدو وفتنة الدنيا وسبيل الاحتراز منها ، وهذا العلم علم الحكمة فإذا استقامت النفس على الواجب وصلحت طباعها ، وتأدبت بآداب الله عز وجل من زم جوارحها ، وحفظ أطرافها ، وجمع حواسها ، سهل عليه إصلاح أخلاقها ، وتطهير الظاهر منها ، والفراغ مما لها ، وعزوفها عن الدنيا ، وإعراضها عنها ، فعند ذلك يمكن مراقبة الخواطر ، وتطهير السرائر ، وهذا هو علم المعرفة » .

وبعد أن عدد الكلاباذى أصناف العلوم التى يستعان بها على تمهيد النفس الإنسانية وتطهيرها من آفاتها وتهذيب أخلاقها على هذا الوجه الذى يعلم فيه الإنسان أولا ، ثم يعمل فيه بعد ذلك بما علم ، يحدثنا عما يرتب على هذا العمل وذلك العلم من علوم أخرى أدق وأعمق ، وأكمل وأوغل فى مكاشفة الأسرار ، ومشاهدة الأنوار ، وهى أخص خصائص العلوم الصوفية ، وذلك فى قوله : « ثم وراء هذا علوم الخواطر ، وعلوم المشاهدات والمكاشفات ، وهى التى تختص بعلم الإشارة ، وهو العلم الذى تفردت به الصوفية بعد جمعها سائر العلوم التى وصفناها . وإنما قيل علم الإشارة ، لأن مشاهدات القلوب ، ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق ، بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال ، وحل تلك المقامات» .

والتأمل فى تاريخ التصوف الإسلامى ، وفيما اختلف عليه من أطوار ، وفيما كان له من خصائص فى كل طور من هذه الأطوار ، يلاحظ أن الآثار الروحية التى خلفها

صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة ، فضلا عن الأقوال والمناجيات التى أثرت عن زهاد وعباد القرنين الأولين للهجرة ، يلاحظ أن كل أولئك أو جله على أقل تقدير كان يتسم بسمات نفسية وأخلاقية وميتافيزيقية ، وأن المعانى الأخلاقية كانت فيه أوغل ، وعلى التصوف العلمى والعملى أغلب ، وفى نفوس الزهاد والعباد والصوفية أفعل ، ولقد كانت غلبة الخصائص الأخلاقية على التصوف الإسلامى دافعاً للمغفور له أستاذنا الشيخ مصطفى عبد الرازق نضر الله وجهه إلى أن يعد التصوف فى أول عهده بالتكون العلمى علما للأخلاق الدينية الإسلامية ومعانى العبادة ، مستدلا رحمه الله على ذلك بقول ابن القيم فى (مدارج السالكين) وهو: « واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم على أن التصوف هو الخلق » ، وبقوله أيضاً : « إن هذا العلم مبنى على الإرادة ، فهى أساسه ، ومجمع بنائه ؛ وهو يشتمل على تفاصيل أحكام الإرادة ، وهى حركة القلب ، ولهذا سمى علم الباطن ، كما أن علم الفقه يشتمل على تفاصيل أحكام الجوارح ، ولهذا سمى علم الظاهر » ؛ وبقول الكتانى : « التصوف هو الخلق ، فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الصفاء » ؛ وبقول من قال : « علم السلوك هو معرفة النفس ما لها وما عليها من الوجدانيات ، ويسمى بعلم الأخلاق ، وعلم التصوف » . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان للتصوف أسماء هى أدل ما تكون على منازعه وخصائصه الأخلاقية ، كأن يسمى تارة بعلم الأحوال والمقامات ، وتارة أخرى بعلم السلوك ، وحينا بعلم الطريقة ، وأحياناً أخرى بأسماء أخرى ملائمة لما يندرج تحتها من أبواب فى التهذيب والتأديب والخلق ، تبينا إلى أى حد وعلى أى وجه يمكن أن يعد التصوف علماً للأخلاق . ويعد الصوفية علماء للأخلاق ، وتعد الطرق الصوفية بمن يجتمع فيها من المريدين المسترشدين حول المشايخ المرشدين ، وسائل لتأديب النفوس وتهذيب الأخلاق والبلوغ بالسالكين إلى كمال العلم وكمال العمل .

ولعل فيما عرف به الصوفية التصوف من تعريفات ما يدل دلالة صريحة واضحة على العناصر الأخلاقية التى اشتمل عليها علمهم ، وعلى ما ينبغى أن يحققه سالك طريقهم من المثل العليا التى تنطوى على أسمى الغايات وأرق معانى الحق والخير : فقد عرف أبو محمد الجريرى التصوف بأنه : « الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج

من كل خلق دنى » ؛ وعرفه الجنيد بأنه : « تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعى النفسية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الشريعة » ؛ وقال رويم إن التصوف مبنى على ثلاث خصال إحداها عنده التحقق بالبذل والإيثار ؛ وذكر أبو الحسن محمد بن أحمد الفارس أن للتصوف أركاناً عشرة منها حسن العشرة ، وإيثار الإيثار : فالدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من كل خلق دنى ، اللذان ذكرهما الجريرى فى تعريفه ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعى النفسية ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الشريعة ، التى ذكرها الجنيد فى تعريفه ، والتحقق بالبذل والإيثار الذى ذكره رويم ، وحسن العشرة وإيثار الإيثار اللذان جعلهما الفارس ركنين من أركان التصوف ، كل أولئك شواهد صدق وأدلة حق على أن للرياضات والأذواق التى هى قوام التصوف خصائص أخلاقية إلى جانب ما لها من خصائص نفسية وميتافيزيقية ، إذ النفس الإنسانية التى عنى الصوفية بتحليلها ووصف آفاتها هى التى وضعوا لها قواعد السلوك ووسائل الرياضة ، وهى التى أفاضوا فى دراسة حقيقتها ؛ والإبانة عن مصدرها الأول الذى صدرت عنه ، وعن مصيرها الأخير الذى ستنتهى إليه ، وهى بعد هذا كله التى أفاضوا فى وصف أحوالها ومقاماتها ، وما يعرض لها فى هذه المقامات وتلك الأحوال من أذواق ومواجيد ومشاهدات . ولهذا لا تكاد نجد مذهبا صوفيا بالمعنى الدقيق إلا وقد ائتلفت فيه العناصر النفسية والأخلاقية . والميتافيزيقية ائتلافاً يختلط فيه بعض هذه العناصر ببعض بحيث تبدو كأنها وحدة مؤتلفة الأجزاء ، متسعة الأبعاض ، وبحيث لا يتبين الفرق بينها إلا التحليل الدقيق لما اختلف على نفوس الصوفية من أحوال ومقامات ، وما أخذوا به أنفسهم من رياضات ومجاهدات ، وما انكشف لسرائرهم من أذواق ومشاهدات .

وهكذا نخلص من كل ما تقدم إلى أن التصوف بما يعول عليه أصحابه من علوم تعليمية كسبية ينبغى للسالكين أن يلموا بها قبل أن يأخذوا أنفسهم بأعمال

التصفية والتنقية ، وبما أن نتيجة هذه الأعمال فى بواطن الخاضعين لها والآخذين أنفسهم بها من إشراقات الأذواق ونفحات العرفان ، أنما هو رياضة ومجاهدة من ناحية ، ومكاشفة ومشاهدة من ناحية أخرى ، وأنه بعبارة أخرى عبارة عن علم لتهذيب النفس الإنسانية ، وعمل على تخلى هذه النفس عن الأخلاق المذمومة ، وتحليها بالأخلاق المحمودة ، وأنه بعد هذا وذاك أستعداد للتجلى وتلق للفيض ، أو هو — بعبارة أوضح وأدل على حقيقته ، وعلى حقيقة ما ينطوى عليه من المعانى العلمية والعملية — علم كلى قد اشتمل على ثلاثة علوم جزئيـة هى : علم النفس ، وعلم الأخلاق ، والعلم الإلهى. وهنا يتبين وجه الإتصال بين التصوف والفلسفة ، كما يتبين وجه الفساد فى زعم من زعم أن التصوف إنما هو محض أوهام وخيالات ، ومجرد أحلام وخرافات إذ الحق الذى لا شبهة فيه ولا غبار عليه هو أن التصوف ليس فى حقيقته المبرأة عن البدع والشوائب إلا فلسفة روحية إسلامية تدور على النفس الإنسانية ، وما تقوم به أخلاقها ، وتستقيم عليه أذواقها .

التصوف مفتاح العلم والسعادة

للأستاذ حسن عباس زكي

سبيل التصوف ، التصوف بمعناه الحقيقي ، هو تطهير القلوب من الرجس وتنقية الوجدان من شوائب الدنس ، حتى يمهد لأرواحنا الطريق للانطلاق من قيود الأسر والاستعباد المادي لتتصل بالعالم الحقيقي وبالقوة العليا التي تملك أمر هذا الوجود ونتلقى عنها ما يسبغ على عالمنا الأمن والطمأنينة والإستقرار .

إننا في هذا العالم الصاخب المتشابك أحوج ماتكون إلى التصوف لنرتبط بالروح الكبرى القادرة ، لتعصمنا من الطغيان المادي واستعباده) وتخفف عن الإنسانية القلق والضيق . وتجعل كلامنا يحس في نفسه وفي قلبه الحب والحنان والجمال ، ويتبين الوحدة الكاملة بين أجزاء هذا الكون ، ويكشف عما فيه من أسرار ، فيترفع عن أن يدين بالماديات التي تعرقل النمو الروحي ، وتخضع صاحبها لسيطرة الضرورة التي تقفل أمام القلب كل أبواب الأمل والرجاء ، وتجعل الحياة بلا غاية ولا مقصد « وتتركنا للاهواء نعيش بلا طائل ، ونحيادون فائدة وتغمرنا موجات القرم والأسى ، وتستولي علينا مشاعر السخط والضيق ، وتدب بيننا عقارب الفوقة والنقمة والخلاف :

إننا في حاجة إلى التصوف للاستعانه بمبادئه على إدراك التناسق بين الكائنات جميعها ، لتوطيد أركان المحبة ، وإبراز نواحي التعاون والسير في طريق العمل المنتج المثمر .

أيها السادة .

أن التصوف جاذبية عظمى لا يدركها إلا من تفيأ ظلالها ولا يحس بجلالها وجمالها إلا من عاش في تجاربها ، أن له طاقته الخالدة الآسرة ، لأنه يرفع المتصوف

من عالم الضلال إلى عالم الهدى ، وينقشه من وحدة الحيره إلى قمة الأمن ، ويصله بالطاقة الكبرى طاقة الملكوت الأعلى والخلود الأبدى ، فيرى نور الحقيقة ، ويغمره فيض من الإشراق والصفاء والطهر والجلال ، فيعيش ومقصده الخير والكمال ، ويسمى ورائده الحب والفناء وهنا يحس الفرحة الكبرى والقوة العظمى ، ويدرك إن كل عمل لصالح المجموع هو لصالحه . وكل خير يعود على غيره هو عائد على نفسه ، لأنه جزء عن الوجود كله .

ومن هنا كان التصوف مفتاح العلم ، وكان الباب الذى نفذ منه العلماء وانتفعوا به فى مجال التطبيق والتجربة ، فتفتحت أمامهم الأفاق التى أرتادوها ، ووصلوا بذلك إلى ما فى الكون من أسرار .

ولئن كان العلم يعتمد على العمل ، فإن التصوف يعتمد فى كشف أسرار الحياة على الروح والوجدان . والعقل محدود بحدود المادة التى يعيش فيها ، ومتأثر بالمؤثرات الكثيرة التى تحيط بصاحبه من البيئة والوارثة والإنفعالات النفسية والجسمية ولذا كان له حدود التى لا يستطيع أن يتخطاها . أما الروح فلا شىء يقف أمامه لأنه خالد باق . ومن هنا كان إدراكه للحقائق والأسرار عن طريق الإلهام والإلهام والإدراك اللدنى ، لأنه يتخطى الآماد الشاسعه ، دون أن يحتاج إلى تجارب فى معامل ودون أن يحتاج إلى أدوات على أن كشف الأرواح إنما يكون لخير الشربة والسمو بها عن التناحر والتصارع .

أنه الكشف الذى لا يرتفع على جثث القتلى ، ولا يخوض بحار الدم ، ولا يتجه إلى فناء العالم وهدم المدنية وتسخير العلم فى غير ما خلق له ، وما أن يتجه إليه من الخير للإنسانية وتوفير الحياة السعيدة .

لبنى البشر .

أيها السادة :

هذه هى غاية التصوف أنه حركة وعمل ونجاح ، وليس عزلة وتقشفا وزهدا عن الحياة ، على أن ما فيه من ذلك يجب ألا يؤخذ على سبيل التعميم يكون ضد الحياة

وضد تطور المجتمع ، وحجر عثرة فى سبيل التقدم . انه بذلك يمنع صاحبه من أن يفكر تفكيراً إيجابيا سليما ، ويجعله يعيش حياته ضعيفاً متخاذلا عالة على المجتمع يأخذ منه ولا يعطيه ويشقى بسلوكه نفسه ويشقيه .

فالتقشف والإنعزال إذا جاز تطبيقهما على فئة من الناس لتهذيب أرواحهم والسمو بها ، فلا بد أن ندرك أن ذلك أمر لا ينبغى طرحه على المجتمع للسير اجمالا فى هذا السبيل .

أما ينبغى أن ندرك أن التصوف عامة ، هو أن نعيش الحياة أن نعيش كل ساعة بل كل لحظة فيها ، نستمتع بجمالها لأنه موهوب ، لا تخدعنا المظاهر عن اللباب ، فننحرف عن معانى العدل والحكمة والصبر والاتزان فى المواقف التى تتطلب ذلك .

أن الزهد الصوفى يوضح لنا معنى الحياة ، ويجعلنا نقبل عليها ، ونفهمها فهما يختلف عن فهم الماديين لها ، فالمادية تجعل أصحابها لا يحسون الأشياء ولا يرونها إلا بفكر يقولون عنه أنه الصورة الأخيرة لتطور المادة التى تدرك قيمة ذاتها . وهم بذلك المنطق ينسون أن تفاوت الطاقات فى الفكر البشرى ينفى رأيهم ويهدمه ، لأنه لو صح أن الفكر مادى ومتطور عن المادة . لما كان هناك تفاوت فى الطاقة بين فكر وفكر ؛ إلا إذا كان كل فكر منتمياً إلى نوع معين من المادة ، وهذا شىء يدعو إلى الضحك والسخرية .

أيها السادة .

أن المفاهيم الحقيقة للتصوف تخلق فى صاحبها طاقة تدفعه إلى الحركة وتفيض عليه الحياة ، وتهىء له سبيل النجاح .

أنه قوة ايجابيه ، وطاقة معينه على التطور ، وهو بهذا المعنى روح الدين . هذه الروح التى تتطلب الرعاية الكاملة لتطبيق مبادىء الإسلام وعقائده . تلك المبادىء والعقائد التى أنزلها خالق الكون على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وجعلها صالحة للحياة فى كل مكان ، وهى تعبير صادق عن الحياة التى تستوجب الإيجابية فى التنفيذ كما تتطلب التطور المستمر للمجتمع البشرى حتى يسير مع خط الحياة الصاعد أبداً

ولن يكون مفهوم الزهد فى التصوف إلا الزهد فيما نهى عنه الدين ، والزهد فى المحرمات ، والزهد فى الطمع والجشع والأستغلال .

أن الخوف والرجاء فى التصوف يدفعان إلى أن يعمل كل فى ميدانه متوخيا الدقة والتجديد والأبتكار والإخلاص ، فلا تهاون فى حقوق المجتمع ولا فى حقوق الوطن ولا فى واجب الدين .

والأنسانية بفهمها لهذه الأصول ، وما يترتب عليها من فروع ، باتجاهها إلى ذلك تستطيع أن تتوحد وتتعاون وتقضى على عوامل القلق ، وتستثمر ماديا تها استثمارا شريفا كاملا ، يكفل لكل فرد حياة فيها رخاء ، وفيها نعيم ، لأن الغاية حينذاك تكون واضحة ، والسبيل ممهدة ، فيعمل كل فرد ، وهو آمن أن أجره لن ينقص ، وأن سعيه لن يخيب ، لأن الحب يسود المجتمع ، والوعى الفكرى يقدر لكل حال ظروفها وملابساتها ، فيفنى كل فى عمله ويسعى لإجادته ، ويضحى من ذات نفسه لأجل المجموع . .

وبهذا أيضا يتحقق السلام ، ويسود الصفاء ، ويقضى على التطاحن والصراع والحروب ، ويعيش الجميع فى عدالة ومحبة .

التكافل الإسلامى فى المجتمعات الخاصة

للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

نظم الإسلام العلاقات فى المجتمعات الصغيرة على أساس التكافل الإجتماعى بين آحادها ، فالقبيلة كلها متآزره فيما بينها متعاونه يعين الغنى الفقير ، ويمد القادر فيها العاجز ، وهى مسئولة عما يقع من آحادها من جرائم ، بحيث لو وقعت جريمة من أحدها وجب عليها تسليمه ، وعند وقوع عقوبة مالية عليه تؤديها أسرته عنه إن كان معسراً . وإذا كانت أموال الزكاة فى قبيلة لاتسد حاجة فقرائها وجب على القبيلة مجتمعة أن تجمع من المال ما يسد حاجتهم . وقد صرح بذلك ابن حزم الظاهرى .

هذا بالنسبة للعشائر المنبثة فى الصحراء والفيافى والقفار ، ومع ذلك قد دعاهم الإسلام ليندمجوا فى الأمصار والقرى .

وبالنسبة للمدائن والقرى ، فإن الإسلام قد وضع مبادىء من شأنها أن تكون مجتمعاً صغيراً متعاوناً متآزراً لا يظهر فيه ضعف الفقر ، ولا ذل الحاجة .

ومن هذه المبادىء ملاحظة حقوق الجوار ، فما من آية ذكر فيها الإحسان الى الأقارب ، حتى كان معه الإحسان إلى الجار ، وقد قال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب » والجار الجنب هو الجار الذى يجاورك فى منزله أو زراعتك ، والصاحب بالجنب هو الرفيق بالطريق أو الذى يجاورك فى مجلس عام ، ولقد كرر النبى صلى الله عليه وسلم الوصية بالجار حتى لقد قال صلى الله عليه وسلم : « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وقال صلى الله عليه وسلم : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قالوا من يارسول الله ؟ قال ذلك الذى لا يأمن جاره بوائقه » .

وإن هذه الوصايا المتكررة بالجار توجب أن يمده بالعون إذا احتاج ، ويسد خلته إذا ظهر فيه ضعف الفقر ، ويعينه إن كان عاجزاً ، ويسهل له سبيل العمل إن كان قادراً ، ولا يجد العمل .

ونقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قسم الجيران ثلاثة أقسام : جار ذو رحم مسلم : له حق الإسلام وحق الرحم ، وحق الجوار ، وجار ذو رحم غير مسلم له حق الجوار ، وحق الرحم ، وجار ليس ذا رحم وليس مسلماً ، له حق الجوار .

وأنه لو كان التعاون بين الجيران يسير على المبادئ التي وضعها الإسلام لكان أهل كل حي متعاونين فيما بينهم لا يكون بينهم عاجز إلا أعانوه .

ومن المبادئ التي وضعها الإسلام لأهل البلد الواحد هو التآخي ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد وضع ذلك الأساس ، ففي المدينة الفاضلة آخى بين المهاجرين بعضهم ، وكان ذلك الإخاء قرابة اجتماعية تجعل الأخ يعين أخاه في الله وفي المجتمع كما يعين أخاه في الدم وفي القرابة ، ولقد كان الأخ يشاطر أخاه ماله ، وإن أقل صور ، المؤاخاة أن يعينه إذا إحتاج ، ويساعده إذا عمل .

وإن سنة المؤاخاة التي سنها النبي صلى الله عليه وسلم ووضع أسسها سنة قائمة إلى يوم القيامة لم يقم دليل على اختصاصها بعصره ، وهي صالحة لأن تطبق في كل مجتمع صغير ليتم التجانس بين آحاده والتعاون على أسس من الأخوة الواصلة المقربة .

ومن المبادئ التعاونية التي أقرها الإسلام تعاون أهل القرى فيما بينهم ، وهي أن يتضافروا في زراعة الأرض التي تكون تابعة لهذه القرية ، وقد صور لنا ابن عبد الحكم في تاريخه كيف كانت القرية المصرية تتولى زراعة ما في حيزها من أراض زراعية ، فإن ناظر القرية أو عريفها أو رئيسها ، كما كان يسمى كان يجتمع بأهل القرية ، ويوزع الأراضي فيما بينها كل واحد ومقدرته ، ومن يكون عاجزاً يقوم غيره مقامه في زراعة ما يخصه ، والقرية كلها تخرج ما عليها من خراج ، وتسد حاجة كل من يكونون في حال احتياج من أهلها ، وقد كان الأساس في ذلك أن الأراضي كانت خارجيه ، ولم تعتبر ملكا لمن هي في أيديهم ، بل أيديهم عليها

يد إجارة ، وكان عرفاء كل طائفة من القرى يجتمعون ويتشاورون فيما بينهم فيما يجب أن يفرض من خراج على الأرض ، ولعل هذا كان أساساً لنظام الإلتزام ، الذى حول ذلك المعنى التعاونى الإجتماعى إلى تعهد شخصى بخراج طائفة كبيرة من الأراضى على أن يتصرف فيه كما يشاء مع الزارعين وذوى الأيدى عليه .

وإنه بعد أن صارت الأراضى ملكا للأهالى ، وأيديهم عليها أبدى ملاك يصح أن يؤخذ بذلك النظام التعاونى فى الصورة السابقة ، بأن يتعاون أهل كل قرية فى زراعة حيزها من الأراضى على أن يتعهدوا فيما بينهم بسد حاجة المحتاج ، وإعانة ذوى الضعف .

وانه لو أتبع ذلك النظام لأفاد أربع فوائد .

أولاها — هو سد أحوال العجز والعوز ، ومعالجة كل أنواع الضعف مهما يكن سببها .

والثانية — هو التعاون على الحصول على أجود ما يحتاجون فى زراعتهم أو فى منازلهم .

والثالثة — هى تسويق المحصولات التى تنتجها أراضيهم .

والرابعة — دفع مضار تفتت الملكية ، والحيازات الصغيرة التى لا يتمكن أصحابها من استغلالها على الوجه الأكمل .

ومن المبادئ التى دعا إليها الإسلام بالنسبة للمجتمعات الصغيرة أنه لو تبين أن الزكاة لا تكفى فقراء أهل قرية ، كان لا بد أن يتعاون أغنياؤها على سد الحاجة ، ولو كانوا قد أدوا الزكاة ، وقد أخذ هذا من قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » .

فإعطاء المال على حبه أمر غير الزكاة ، وهو واجب عند لزومه ، ولذلك كان على الغنى حق غير الزكاة ، وإنه من المقررات الإسلامية أن من يكون عنده فضل زاد، ورأى شخصاً لا يجد ما يقتاته حق عليه أن يعطيه فضل زاده ، ولو منعه يصح أن يأخذ منه جبرا ، ولو قاتله فقتله كان معذوراً .

والأصل فى ذلك ما ذكره أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه إذ قال « كنا فى سفر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ثم أخذ يعد من أصناف المال ما ظننا أنه ليس لنا من مالنا إلا ما يكفينا » .

ويجب أن يلاحظ أن ذلك كان فى سفر ، وحال السفر هى الحال التى يتصور فيها أن يكون إنسان يحتاج إلى القوت ، والآخر عنده فضل يجب أن يعود به عليه ، هذه مبادىء لو أتبعت فى المجتمعات الصغيرة لقام التكافل بينها على أسس من التعاون المادى ، والتعاطف الأخوى ، والرحمة الواصلة ! وإحساس كل إنسان أنه ملتزم بسد حاجات أخيه ، وأنه فى عونه دائماً ، والله تعالى فى عون الجميع .

من هدى المنهج الصوفى

للاستاذ أحمد الشرباصى

الرائد العام لجمعيات الشبان المسلمين

« فى يوم الجمعة ٢٤ نوفمبر ١٩٦١ بدأ الاحتفال بمولد السيد أحمد الرفاعى ، وقد نقلت الاذاعة إلى العالم الإسلامى الخطبة التى ألقاها الرائد العام لجمعيات الشبان المسلمين ظهر اليوم المذكور ، فى مسجد الرفاعى بالقاهرة ، بمناسبة هذا المولد » :

الحمد لله عز وجل ، بسط العبر وضرب الأمثال : « وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ؟. أشهد أن لا إله إلا الله ، جعل التذكير وظيفة الداعين ، وجعل التذكر صفة الخاشعين : « فذكر إن نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى » . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، كان خير قدوة للناس فى سائر الأعمال والأحوال ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وصحبه ورجاله : « أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام .. لقد جرت عادة الناس فى كثير من بلاد الإسلام على إقامة الموالد فى مناسبات مختلفة : كمولد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وموالد الكرام من آل بيته ، وموالد الأولياء والصالحين ؛ ومع أن هذه الموالد لم تكن معروفة فى صدر الإسلام ، فإنه من الممكن إقامتها على سواء السبيل ، والانتفاع بها فى أكثر من وجه ، لأنها فى لبها الخالص لون من الوفاء للأخيار الابرار من السابقين ، وفيها فرص للاجتماع وتجديد الأخوة فى الله ، و « يد الله مع الجماعة » و « وإنما المؤمنون إخوة » ، وفيها استحضار لتاريخ هؤلاء الأخيار ، وتأمل فى مواقفهم للعظة والاعتبار ، ولا يكون لهذا التأمل فائدة كبيرة إذا لم يؤد إلى التشبه والاقتداء . ولا شك أن كل مستقيم فى العقيدة والدين من هؤلاء . قد اهتدى بهدى الرسول ، واقتدى بسنته ، والرسول هو مثلنا الأعلى فى القدوة والأسوة ، والله تعالى

يخبرنا بذلك ويأمرنا به حيث يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » ، وحيث يقول : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » .

والآن يحتفل الناس بمولد الرفاعى فتكون إقامته فرصة للنظر فى تاريخه والاعتبار به ، إذ فيه كثير من العبر والعظات ، ولو أن كل منتسب إلى هذا الرجل تدبر سيرته ، وعمل بها ، لصار مثلا كريماً للمسلم ؛ فقد كان رجلا يأخذ التصوف على أنه مراقبة وإخلاص ، وخضوع لله فى السر والعلن ، وتقيد بالشرع والعبادة ، والتزام لما جاء به الصادق المصدوق محمد صلوات الله عليه وسلامه ، وذلك لعلمه أن الشريعة هى الأساس وهى العماد : يوقن الإنسان فى عقله وقلبه بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، فذلك هو الإيمان . ثم يظهر المؤمن حقيقة هذا الإيمان فى عمله وقوله ، بأن ينطق بالشهادتين ، ويصلى ، ويصوم ، ويزكى ، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلا ، فذلك هو الإسلام . ثم يحاول بكل ما استطاع أن يؤدى هذه الأعمال بحيوية وروح وإخلاص ومراقبة لله تعالى ، فذلك هو الإحسان ، وهو ما عرفه الرسول حين قال : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . والهدف الأعلى للصوفى السليم المستقيم هو أن يتحلى بهذا الإحسان فى أحواله وأعماله ، وهذا الإحسان هو الذى يسمى بالحقيقة عند الصوفية ، ولا يتحقق هذا على وجهه إلا إذا اقترن الإسلام بالإيمان بالإحسان ، ولذلك قال الواعون من الصوفية : « من تحقق ولم يتشرع فقد تزندق » ! .

* * *

ولقد كان الرفاعى رجلا ينادى فى كثير من المناسبات بأن الصوفى لا يكون صوفياً إلا إذا تقيد بالشريعة ، فهو يقول مثلا :

« كل حقيقة بلا شريعة فهى زندقة » . ويقول عن الشيخ عند الصوفية : « الشيخ ظاهره الشرع وباطنه الشرع » ويقول : الشيخ من يلزمك الكتاب والسنة ويبعدك عن المحدثة والبدعة » . ولذلك يقول أتباع الرفاعى فى وصفه : « إنه الجامع بين الشريعة والحقيقة » . ولو جمع كل متصوف بينهما كما ينبغى لكان من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك هم خير البرية .

وهم يقولون فى وصف الرفاعى إنه « أبو العلمين » ، والسبب فى ذلك أن نسبه من جهة إمه ينتهى إلى الحسن رضى الله عنه ، ونسبه من جهة أبيه ينتهى إلى الحسين رضى الله عنه ، فهو إذن سليل الحسن والحسين ، والحسن والحسين علمان خفاقان فى تاريخ الإسلام ، وللسلالة الطاهرة أثرها فى الذرية والأحفاد ، ونحن لا ننسى أن عاصم بن عمر بن الخطاب تزوج الفتاة التقية الطاهرة التى عصت أمر أمها فى خلط اللبن بالماء ليلا ، لأن الله يراها ، فكان لهما من هذا الزواج بنت صارت أما لخامس الراشدين وعادل الحاكمين عمر بن عبد العزيز الذى تبدت فيه طهارة الأصل والسلالة.. ولقد ضرب الحسن والحسين مثلين كريمين من أمثلة العمل الصالح الخالد ، أما أولهما وهو الحسن فقد تنازل لمعاوية عن منصب الحكم ، محاولا بذلك إطفاء نار الفتنة والشقاق بين المسلمين وأما ثانيهما وهو الحسين فقد ضحى بنفسه فى سبيل عقيدته ومبدئه ، حين اعتقد أن هذه التضحية هى السبيل إلى إظهار الفارق بين الحق والباطل ، وإلى تخليص الطيب من الخبيث ، فكان الحسين بذلك أبا الشهداء كما يقص علينا التاريخ . . .

* * *

واقد تجلت فى تاريخ الرجل صفات وأعمال لو تحلى بها الشخص لا زداد رفعة وسموا عند الله وعند الناس . فقد كان مثلا رجلا اجتماعيا ، يحب الخدمة الاجتماعية لقومه وبنى جنسه ، ويسهم فيها بنصيب وافر ، فكان يألف خدمة اليتامى والأرامل والعجزة والمساكين والأطفال ، وإذا سمع بكاء من طفل تأثر وبكى ، وكان من رقته يعنى بأمر الحيوانات الضالة والمريضة ، وكان يفعل هذا فى تواضع وإخلاص ومن وضوح تواضعه أنه كان لا يرى فى نفسه ما تتميز بها على تلاميذه أو مريديه ، فهو يتبسط معهم ، ويعاملهم معاملة الصديق للصديق ، لا معاملة القائد المسيطر للجنود الخاضعين وكان يردد : « حشرت مع قارون وهامان وفرعون إن ظننت لنفسى تقدما على هؤلاء ، أو إن ظننت أننى ما استصغرت أحداً إلا وجدت نقصاً فى دينى ومعرفتى » ، ولعله فى هذه السبيل كان يهتدى بقول خالقه تبارك وتعالى : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » .

وكذلك كان رجلا يعنى بإصلاح نفسه وتطهير قلبه ، فيشغله ذلك عن تتبع عيوب

غيره ، وعن التطلع إلى عورات سواه ، وكان يقول فى ذلك : « عميت لى عين أنظر بها إلى عيوب إخوانى » . وكان يقول أيضاً : « المتلفت لا يصل » ، ولعله يقصد بالمتلفت هنا الذى ينظر يمينا وشمالا ، فيشغله شأن هذا من الناس ، وعيب ذاك منهم ، ونقص ذلك فيهم ، فتتبعثر همته فى هذا التلفت الشاغل الملهى الموبق للوصول إلى ما يريد من غنم وتوفيق ، ولا ريب أو هذا القول منه يستضىء بنور قول الله عز وجل : « عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، ونور قول الرسول : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » . ولو شغل كل إنسان بعيبه فأصلحه لما وجد متسعا لتتبع العيب عند غيره ؟ ولو وفق الجميع فى إصلاح عيوبهم لما بقيت هناك عيوب . .

ولقد كان كما يحدثنا تاريخه رجلا يخاف ربه ويراقبه فى السر والعلن ، وفى الاجتماع والانفراد ، وقد روى عنه أن شيخه أعطاه وهو شاب سكينا ودجاجة ، وأمره بذبحها فى مكان لا يراه فيه أحد ، فمضى الشاب ثم عاد والدجاجة حية بيده ، فسأله شيخه لِمَ : لم تذبحها ؟ فأجاب : ياسيدى ، لقد شرطت على خلو المكان ، وأينما ذهبت وجدت الله حاضراً معى ناظراً إلى ... « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ، إن الله واسع عليم » . . . ولكن هذا الرجل الذى يخاف ربه كل هذا الخوف ، كان لا يهاب الجبارين ولا يخشى الحاكمين ، فهو يكتب إلى الخليفة العباسى المستنجد بالله يقول له : « إن أنت نفذت أحكام الله تعالى فى نفسك نفذت أحكام كتبك فى ملكه ، وإن عظمت أمر الله عظم الناس أعمالك وولاة الأمور من قبلك ... » .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والصلام . . . إن الذكرى تنفع المؤمنين وإنما تنفعهم حين يحسنون استماعها ، ويحسنون الاعتبار بها ، ويحسنون الاتباع لها ، والسير على هديها ، وإن النفحات التى تتلألأ فى تاريخ أسلافنا ، من الصديقين والشهداء والصالحين ، الذين استضاءوا بكتاب ربهم ، واهتدوا بسنة نبيهم ، واعتصموا بالحق العدل والإيمان والعمل فى حياتهم ، كفيلة بأن تجعل من الضال مهتديا ، ومن الفاسق مرتدعا ، ومن البليد الإحساس رجلا مشبوب الوجدان نبيل العاطفة والشعور ، إذا تحقق الاعتبار والاستجابة والتزام الطريق السوى . وسبحان من لو شاء لهدانا جميعا إلى سواء السبيل .

مولانا الإمام الحسين

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الإقتصاد والخزانة ورئيس مجلس إدارة المسجد الحسينى

(٢)

خروج مولانا الحسين إلى العراق :

عاب بعض السفهاء على خروج مولانا الحسين إلى العراق ما دروا أن سفره للعراق جاء نتيجة لبيعتهم له على يد ابن عمه مسلم بن عقيل الذى سبقه فى السفر إلى العراق بناء على رسائل تتعابعت على مولانا الحسين من أعيان العراق حتى بلغت الألوف .

وذلك بعد أن جعل معاوية الخلافة لابنه اليزيد تعييناً لا انتخابا كما كان الأمر قبل ذلك .

وما كان لمولانا الحسين أن يتأخر عن نصرة المؤمنين الذين يريدون لدينهم ودنياهم أماما من طرازه الممتاز وخاصة بعد أن أخذ عليهم البيعة ابن عمه مسلم بن عقيل فهجرته للعراق كانت ولا شك هجرة لله ورسوله .

على أن أهل العراق بعد أن بايعوه نكثوا عهدهم وأراد رجال اليزيد الفاسق بمولانا الحسين كيداً ومكن لهم فى ذلك قتل مسلم بن عقيل غدرة وتولى التدبير الآثم عبيد الله بن زياد الذى باع دينه بدنياه .

وأرادها مولانا الحسين سلماً وأرادها بن زياد حرباً وأبى مولانا الحسين أن يبدأهم بغدر ولكن طلب إليهم أن يرجع إلى الحجاز أو ينحاز إلى ثغر من ثغور المسلمين يعيش بينهم له مالهم وعليه ما عليهم ويمكنوه من مقابلة اليزيد ليتفاهم معه فى الأمر .

وكان من الغادرين اللئام أنهم ضيقوا عليه المسالك ولم يقبلوا واحدة مما عرض عليهم ولكنهم كما يقول الأستاذ زكى الحلوانى :

مالوا إلى حظ الحياة فتاوأوا ملكا من الإيمان لا يتداعى
والحقد يطغى باللئيم فلا يرى من ضعفه ألا الخيانة باعا

ووقع قدر الله واستشهد أولا أصحابه الأكرمون ثم آل بيته ثم هو نفسه وكان استشهادهم دفاعا عن أنفسهم حيث بدأ الخصوم بالغدر الذى استذلهم به الشيطان — وحق الدفاع عن النفس حق مشروع وشجاعته وأقدامه يأبيان عليه أن يولى الأدبار فى ساحة الشرف وما أبدع ما يقوله صديق الفاضل الشيخ الصاوى شعلان فى هذه المناسبة :

والحر يؤثر أن يموت بعزمه أسداً ولا يحيا بمكر الثعلب

شهامته ورجولته وإيمانه :

وانظروا إلى هؤلاء الشجعان من أصحابه رضى الله عنه وكيف كانت معنوياتهم فى الذود عنه لا بالبنان بل بالروح والوجدان .

فهذا زهير بن القين يقول لمولانا الحسين وهو يستميت فى نصرته :

والله لوددت أنى قتلت ثم نشرت ثم قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتله وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أهلك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهلك .

وناصر آخر لا اذكر اسمه ولعله سيدى حبيب بن مظاهر :

والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك والله لو علمت أنى أقتل ثم أحيا ثم أحرق حيا ثم أذر يفعل ذلك بى سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامى دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هى قتلة واحدة ثم هى الكرامة التى لا انقضاء لها أبداً .

استشهد مولانا الحسين بعد أن استشهد من معه من أصحابه وآل بيته من الرجال

والشباب ولم يسلم من القتل ألا مولانا على زين العابدين وكان مريضاً ملازماً الفراش فجعل الله منه نسل الأشراف من فرع مولانا الحسين .

وقد تمثل مولانا الحسين حين خوفوه بالموت بأبيات من الشعر خالدة هى : —

سأمضى وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مثبوراً وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وأن مت لم ألم كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

واستشهاده رضى الله عنه غير مجرى التاريخ وكانت له نتائج كبرى ومن ذلك :

١ — أن حياة الدولة الأموية لم تطل حتى أنها لم تبلغ قرناً من الزمان بل حكمت ألف شهر .

٢ — أن استشهاده مهد لقيام الدولة العباسية فى الشرق والدولة الأموية فى المغرب .

٣ — أنه مهد لقيام الدولة الفاطمية .

٤ — أنه كان سبباً فى ظهور مذهب الشيعة .

ومن عجيب أمره عليه السلام أن الذين قتلوه تشيعوا له بعد قتله ولا يزال العراق للآن معقل الشيعة .

وشاء الله العادل أن تدخل رأس بن زياد على مولانا على زين العابدين وهو يتغدى فى يوم عاشورا كما دخلت رأس مولانا الحسين على ابن زياد وهو يتغدى فى يوم عاشوراء وذلك بعد مقتله بخمس سنوات ولكن أين الثرى من الثريا .

كما شاء الله العادل أن يموت من منعه الماء بالعطش حيث كان يشرب الماء ثم يتقايأه ، كما وطىء صدر من وطىء صدره الشريف وللآخرة أشد بأساً وأشد تنكيلا.

حكمة من الله :

وقد كان البلاء على المؤمنين شديداً بمقتل مولانا الحسين رضى الله عنه ولكنه انطوى على حكمة بالغة فقد صارت الحادثة سلوى لأهل البلاء على مر الأيام .

فما من مبتل فى الأمة المحمدية ألا ويواسى نفسه بصبر مولانا الحسين واحتماله الأذى فى يقين .

وفى ذلك يقول السيد / محمد اقبال مخاطبا المؤمنين :

وحسين فى الأحرار والابرار ما أزكى شمائله وما أنداها
فتعلموا رى اليقين من الحسين إذا الحوادث أظلمت بدجاها
وتعلموا حرية الإيمان من صبر الحسين وقد أجاب نداها

محبة أهل مصر لمولانا الحسين وآل البيت :

ويتميز أهل مصر بحب مولانا الحسين رضى الله عنه وحب السادة والسيدات آل البيت الأحياء منهم والمنتقلين حتى أن أهل الريف إذا وفدوا إلى القاهرة رأوا واجباً عليهم حتما أن يؤدوا حق الزرياة لآل البيت الكرام ويخصون بالذات عميدهم مولانا الحسين وشقيقته مولاتنا زينب رضى الله عن الجميع ، وقد كان والدى رحمه الله يحرص على ذلك كل الحرص وكان يصحبنى وأنا طفل صغير إلى ساحتهم المباركة ولا يزال أثر ذلك فى نفسى كبيراً .

وهذا الحب القلبى وصلة قوية لأهل مصر بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك تجدهم أكثر المؤمنين توفيقاً فى زيارته صلى الله عليه وسلم ويتأكد ذلك لكل من زراه صلى الله عليه وسلم بالمدينة وخاصة فى رجب فإنه يجد أهل مصر فى الروضة النبوية عن يمين وشمال يعرفهم بسيماهم من الصدق والصفاء والوفاء .

وقد جاورنى فى الروضة هذا العام رجل من أهل الفضل بالحجاز فحيا أهل مصر فى شخصى وردد على سمعى قول أمامنا البوصيرى بعد أن امتدحه فيما قال رضى الله عنه فى همزيته المشهورة :

ويح قوم جفوا نبيا بأرض الفتة ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع إليه وقلوه ووده الغرباء

ثم توطدت الصداقة بينى وبين هذا الفاضل فحياني بقصيدة من شعره تعرض فيها لفضل مولانا الحسين رضى الله عنه على أهل مصر وكان فيما قال :

ولدى الروضة كان الملتقى برجال الفضل فى دنيا ودين
الحسين السبط قد طهرهم فى حماه فأتونا طاهرين

ويستبعد المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ذلك الأثر الذى يشير إليه صديق الفاضل لأنهم لم يذوقوه وقد قيل وما أبدع ما قيل .

لا تسل وصف حبهم فهو سر بسوى الذوق ماله إفشاء

وكيف لا نتأثر بجوارهم ، وزيارتهم ونحن نذكر بهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحفظ بزيارتهم حرمته الشريفة . كما أننا بزيارتهم نوثق الإيمان بالله ورسوله ونقف عند حدود الله التى جاءتنا على يد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنترسم خطاهم ونقتدى بهم فى القول والعمل .

وإذا قام لديك شك فى أثر مودتهم على الأرواح فقارن بين دين المتمردين عليهم وبين دين الجافين لهم وأنت ترى الفرق واضحاً جليا فهو فرق بين الإيمان والنفاق وبين الوئام والشقاق فهم يلعبون النرد (الطاولة) فى المقاهى بينما يؤدى الزائرون فريضة الصلاة فى أوقاتها جماعة وهم يغتابون الأعراض والزائرون يرتلون فى رحاب آل البيت آيات الله فى يقين وخشوع أو يستمعون ما يوعظون به من أهل العلم .

مع العارفين

الشيخ محمد الفاتح قريب الله

للدكتور مصطفى كمال وصفى الرفاعى

المستشار بمجلس الدولة

شاهدت فيه صوفية السلف الصالح . وعز الإسلام ونور الإيمان ولم أعلم كيف كان التصوف فى أيامه الخالية ، ولا كيف كانت صورته ، حتى رأيت مثلا حيالها يخرج لى مجسداً وكأنه من بطن التاريخ ، كأنه خارج من رسالة القشيرى أو من إحياء الغزالى فى صورة سيدى الشيخ التقى النقى الورع الكامل ، محمد الفاتح قريب الله .

كنت مسافراً إلى السودان ، فى ندب للتدريس بالجامعة فقابلت أخى المغفور له الشيخ عبد الله المنادبلى . فأوصانى بزيارة الشيخ الفاتح وقال لى هو من إخواننا فى الله وستجده فى خدمتك فى كل ما تطلب . ولما كان الاتصال برجال الدين لمثلى ضرورة لا بد منها ، فقد سارعت إلى السؤال عن الشيخ الفاتح فور وصولى إلى الخرطوم . فعلمت أنه فى أم درمان بحى ودنوباوى وقصدته صباح يوم من أيام الجمعة فاستقبلنى بأدب شديد فيه بعض التحفظ . فان صفاتى الدنيوية ، تضع فى سبيلى العقبات عند رجال الله الصادقين حتى يطمئنوا إلى عدم اعتبارها فى حقيقتى ، وعدم تأثيرها فى جوهرى .

وجدته جميل تقاطيع الوجه ، جمالا غير معتاد . يزين وجهه ذقن صغيرة محكمة ، وترتفع على هامته عمامة كأنها تاج مضىء نوراً كثير الصمت نادر الكلام . إذا ماتكلم فطابع كلامه الصدق والجد والاخلاص . حازم حاسم فى لفظه الوجيز المحكم السريع كريم فائق الكرم . لم أذهب لمنزله فى أى وقت إلا احتجزنى لطعام . ان كان صباحاً قدم لى افطارا ؛ وان كان عصرا استبقانى لعشاء ولا يتركنى أغادر بيته إلا إذا استدعى سيارة الأجرة بالتليفون ، فينقدها أجرها سلفا لتوصلنى إلى باب منزلى .

غائب مع الله لا يكاد يصحو ويفيق إلا إذا وجهت إليه الحديث ، وعند ذلك

تعجب من سرعة صحوه ودقة إدراكه وفهمه بسيط الملبس . بسيط الثياب . بسيط التعبير : كامل . عالم الشريعة والدين . فيه جمال الدين والدنيا . زكى الرائحة ، أنيق المنظر .

دخلت منزله فإذا هو رباط صوفى بكل مافى هذه الكلمة من معنى . وجدت منزله أفنية متداخلة . تربط بينها ممرات وأروقة تشرف عليها خلوات كثيرة وفى هذه الخلوات يقيم من تطيب له الاقامة لا يسأله أحد من هو ويمكث كما يشاء فما يشعر أهل الدار بأن احدى الغرف فيها واحد حتى يوالده بالطعام والخدمة حتى يرحل . . أيا كان هذا الوافد . وفى أول المسكن فناء كبير فيه جامع تقام فيه الشعائر . والجمعة ، وفيه قبر والده الشيخ قريب الله رحمه الله . وفى طرفه الآخر فناء آخر فيه حجرات الشيخ التى يقضى فيها عادة معظم أوقاته . وعلى ما فيها من مقاعد ، فانك لا تكاد تراه إلا جالساً على الأرض .

قلت فى نفسى وما أدرانى مقامه ؟

أردت أن أعرف ذلك فمسكت المسبحة وربطت نفسى به وذكرت الله فغبت عن الوجود . وكدت لا أطيق الحال الذى لبسنى إذا ربطت نفسى بهذا الولى الطاهر . ورأيت أن تلاميذه ومريديه قد سرت فيهم روحه حتى صار كل منهم يشبهه فكلهم يتكلم ككلامه . وكلهم يلبس كزيه . وكلهم يمشى مشيته . وإذا رأيت أحدهم مقبلا من بعيد حسبته الشيخ نفسه . فكأن المكان كله قد امتلأ بمئات من الفاتح قريب الله . . وكل قادم عليك كأنه الشيخ نفسه .

منقطع تمام الانقطاع للتربية والطريقة لا يصرفه عنها صارف يقيم الصلوات الخمس فى الجامع ، ويوالون الاذكار والأوراد ويتابع مريديه بالزيارة والسؤال والاستفسار ويتعهدهم فى كل الأحوال .

وجدت أن ثماره يانعة ، ونتائج جهوده ظاهرة مبشرة ، وقد نجب مريدوه وصحت فيهم علامات الفلاح . قلت له ياسيدى أولادك فى خير وبركة بسببك . فأجابنى بتأكيد لا شك فى ذلك يا دكتور . . ذلك بفضل من الله يؤتيه من يشاء .

عزيز . . ممتر بالله قوى فى إيمانه وثقته برسالته .

وعدته مرة للغذاء عندى ردا لآلاف جمائله . وقلت له يصحب مع الشيخ أحمد البدرى والشيخ يوسف حمد النيل . وأخبرت زوجتى بأننا سنكون أربعة على المائدة ثم حضر ببالى أن أدعو آخر . فذهبت إليه فقلت له ان ينتقل عندى للغذاء . فقال لى أن الشيخ قد دعاه فعلا ؟ ثم خطر ببالى أدعو آخر أيضاً فقال لى أن الشيخ دعاه كذلك . قلت فى نفسى لعله دعا كل من يعرفه وفعلا لم يخب حدسى . اذ أننا فى يوم الغداء وجدت أن الشيخ قد أقبل فى سيارة محشوة بالمدعوين ، أعقبتها أخرى غير من وفدوا فرادى . ولم نزل يقبل علينا الضيوف حتى زادوا على الثلاثين ، وزوجتى منزعجة من قلة الطعام فهى لا تعمل حسابا لذلك . فطيبت خاطرها وقلت لها أن المفهوم هنا أننا لم نعمل حسابا لهذا العدد ، وأنهم وافدون اكراما لنا مع الشيخ . ووضعنا الطعام وأكلنا ومازلنا نأكل والطعام لا ينقص وانتهينا من الأكل ، وكأن الصحون كما هى وعجبت كيف تبقى كل ذلك وكأنه لم يمس مع أننا كنا جميعاً مقبلون على الطعام ولم ندخر وسعاً فى القضاء عليه .

وكان الشيخ أحمد البدوى قد أحضر معه يومها بخورا جميلا فجلسنا قليلا نتسامر وقضينا أعذب الوقت وأجمله . ولما شكرته على مقدمه قال لى « هذا من حقوقك علينا يا دكتور »

وأذكر يوم سفرى إذ حضر بنفسه لمنزلى لتحيتى وهو ينظر إلى بعيونه الجميلة الحزينة وكان رائعاً فى ملابسه البيضاء وعمته المنيرة ثم انتهت الزيارة ونزل وركب السيارة وظللت أنظر إلى السيارة حتى صارت نقطة فى آخر الطريق ثم تحولت فاختفت فبكيت . . . لم يبق لى إلا أراه فى أحلامى وهكذا نراهم وتختلط أنفاسنا وتتعامق أرواحنا ثم يختفون ولا يتركون لنا إلا أشباحهم فى الرؤيا . . . فنفرح بها ، وتغيب عنا ونشتاق اليهم .

إلى هذا القلب الكبير الجامع لروح الكون المحرك لحركاته وسكناته ، إلى ذلك المهيمن علينا الذى تسرى روحه فينا جميعاً . . . إلى تلك العيون الجميلة

التى لاتنام ، والتى تنظر إلينا جميعاً نظرات الحنان ، والأسى لحالنا ، والرجاء فينا ، التى قدرت وحددت وصبرت ... إليه هو ... الذى لم يخفق قلب إلا من روحه ولم ينبت أمل ولا رجاء ولا عطف ولا حب ولا حنان إلا منه . . إليه هو أشكو حالى وغربتى وانقطاعى عن من أحب . ها هوالشيخ سالم الزيانى فى ليبيا . والشيخ الفاتح فى السودان والشيخ الكتانى فى سوريا ، وأنا هنا منقطع عنهم إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا فيجتمع ان شاء الله فى مقره الحق على بساطه الكريم عندما يأذن الله فى أسعد الأوقات ان شاء الله وصدق رسول الله الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ».

من أدب المريد

للعارف الشعرانى

الشعرانى من أساتذة التربية الصوفية . ومن أروع ما كتب كتابه — قواعد الصوفية — وهو مخطوط لم ينشر ، مع أهميته لرجال الطرق كافة من شيوخ ومريدين ، لأنه يعرض بالتفصيل أدب المريد فى السلوك ، ومنهج الشيخ فى التربية .

ونقدم لقرائنا فقرات من هذا الكتاب القيم . كتبها عن مخالفة المريد لهواه .

ومن شأنه مخالفة هوى نفسه فلا يوافقها فيما تهواه ، وقد أجمع الأشياخ على أن رأس مال المريد مخالفة نفسه ، ومن أطلق عنان نفسه فيما تهواه ، فقد أهلكها وكان أبو حفص رحمه الله يقول : « من لم يهم نفسه على دوام الحالات ، ولم يخالفها فى جميع شهواتها ، ولم يجرها إلى مكروهها فى سائر الأوقات فهو معذور فى سائر الحالات » وكان أبو بكر الطهسنانى يقول : « أعظم حجاب بينك وبين ربك موافقة نفسك » وكان ابن عطاء يقول : « من طلب عوضاً من الله على اعودته استحق الطرد » وكان ابن شيبان يقول : « ما أكل عبد شهوة إلا حجب عن شهود ربه ، قال : ولقد مكثت عشرين سنة ، أشتهى أكلة عدس فلم يتفق لى أكلها ، ثم أنى أكلتها وخرجت فأخذنى أعوان السلطان وقالوا : هذا كسر جرار الخمر مع جماعة السلطان بالأمس ، فضربونى مائه خشبة ، ثم مر على أستاذى أبو عثمان المغربى فقال : ماذا صنعت حتى وقع لك هذا؟ فقلت : أكلت شهوة ! ؟ فقال الشيخ : أطلقوه فأطلقونى ، وقال لى نجوت إن شاء الله مجانا » .

وكان السرى السقطى رحمه الله يقول لى : « أكثر من أربعين سنة ونفسى تطالبنى أن آكل جزرة فى دبس فلم أطعمه ذلك ، وكان يقول : من صدق فى ترك شهوة ، كفاه الله تعالى موتها » وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : « يا داود حذر وأنذر قومك أكل الشهوات ، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عنى » وفى

راوية « ياداود أن أهون ما أنا صانع بعبدى إذا آثر هواه على طاعتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى » .

وكان إبراهيم الخواص رحمه الله يقول : « من اتباع الهوى أن يعبد العبد ربه لطلب ثواب أو خوفا من عقاب فلا يزداد صاحب هذا القصد على مرور الزمان إلا أدباراً » وفى بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل : « ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار ، لو لم أكن أهلا لأن أطاع » ؟

قلت ومن اتباع الهوى إيثار النوم على قيام الليل فى مثل ليال الصيف ، وذلك دليل على عدم محبة الله عز وجل ، ومن لا يحب الله فهو عدو الله لأن الله تعالى قد أوحى إلى داود عليه السلام : « يا داود كذب من أدعى محبتى فإذا جنه الليل نام عنى » فشهد الحق على أن من ينام من غير غلبة بأنه كاذب فى محبته .

وكان ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه يقول . « من علامة صدق العبد فى التوبة عن ذنب أن يجد فى قلبه بعدها لذة لا يقدر قدرها فمن لم يجد فى قلبه لذة بعدها فهو كاذب فى تركها ، ولعله يرجع إلى الذنب عن قريب » .

ومن شأنه أن يلازم على عدم الإخلال بأركان الطريق وشروطها ، ومتى انهدم ركن منها أو شرط تبعه الباقى ، وقد تقدم أن معظم أركان الطريق أربعة ، الجوع ، العزلة ، الصمت ، والسهر ، وما زاد على هذه الأربعة فهو من التوابع ، وقالوا . من ضيع الأصول حرم الوصول ، فأعلم ذلك .

من هدى القرآن :

الطير مسخرات فى جو السماء

للدكتور محمد وصفى

قال تعالى : ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون (١٦ : ٧٩) وقال : أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شىء بصير (٦٧ : ١٩) .

ألم يروا كيف كون الله الطير تكوينا خاصاً ، وثيق الصلة بخاصية الطيران وحياة الهواء ، فزودها بأجنحة بدل الأطراف الأمامية ، التى نقل وظيفتها إلى مناقيرها وأعناقها التى تتصل فقرات بعضها اتصالا مفصليا يبيح لها حركات مختلفة واسعة النطاق ، وبما زودها من ريش له أهمية مباشرة فى الطيران .

وبما ميزها من أجسام إنسيابية الشكل ، محورة تحويرا خاصاً يلائم وظيفتها الحيوية ، إذ وضع أجزاءها الثقيلة بالقرب من مركز الثقل من أجسامها ، هو منطقة الحزام الحوضى ، ونقل وظائف الأعضاء الثقيلة المتطرفة إلى أخرى فى الوسط لنقل وظائف الفكين والأسنان إلى القانصه ، وإلا لثقلت رؤوس الطير واحتاجت إلى عضلات قوية لا يتناسب وجودها مع خاصية الطيران ، ولناسب هذا أن يكون أعناق الطيور قصيرة مزودة بعضلات قوية تستطيع حمل تلك الرؤوس الثقيلة ، مما يحول بين الطيور وبين التقاط غذائها من فوق سطح الأرض وهى واقفة على أرجلها الطويلة ، اللازم طولها للارتفاع من فوق الأرض إلى الهواء .

فخفية الرأس وطول العنق ، والساق الطويلة المرتفعة ، والمعدة الطاحنة الماضغة ذات صلة وثيقة بالطيران .

وزود الله أجسام الطيور ، على وجه خاص ، بأجهزة دقيقة قوية لتجابه المجهود الذى يتطلبه الطيران ، وتمد أجسامها بما يحتاجه من النشاط ، ومن أهم هذه الأجهزة جهاز التنفس والجهاز الدورى الدموى .

فرئات الطير تفصل بشقيها من ناحيتى اليمين واليسار أربعة أزواج من الأكياس الهوائية تخفف بطبيعتها من وزن الجسم ، ثم انها تيسر اتصالا مباشرا بين الهواء والأنسجة يساعد على عملية تبادل الغازات على مدى واسع حتى أنه ليقال أن الطيور ذات تنفس مزدوج ، ويوجد غير هذه كيس هوائى فردى يكاد يحيط بالقصبة الهوائية ويبعث فروعا منه إلى عظم الذراع وإلى ما بين العضلات الصدرية .

وأما قلب الطير فقوى كبير نسبيا ، إذ يزن ضعف قلب حيوان ثدىى يعادله فى الوزن ، ولهذا فإنه يستطيع تحمل المجهود الضرورى لتغذية الجسم بكميات كبيرة من الدم تتناسب مع النشاط اللازم لعمل الأجهزة الداخلية .

وتمتاز الطيور ، بالنسبة لأوعيتها الدموية ، عن سائر الفقريات ، موجود وريد مقوس مستعرض أسفل العنق يسمى (الوريد المتلاقى) يصل بين الوريدين الودجيين اللذين يمر بهما الدم الوريدى الهابط من الوجه والرأس . ولهذا الوريد فى الطيور أهمية حيوية إذ أنه يحول دون توقف الدورة الدموية الوريدية ، حيث يحتمل أن ينقطع مجرى الدم من جراء الضغط على أحد الوريدين الودجيين بسبب كثرة حركات العنق وثنيها إلى مختلف الجهات .

واختزلت أعضاء الطيور اختزالا واضحا ، حتى يتلاءم وزنها مع طيرانها ، كأعضائها التناسلية خاصة أعضاء التلقيح فيها . فقد بسطت مواد بنائها إلى أبعد الحدود فالخصية مثلا فى العصفور الدورى حجمها قدر حجم رأس الدبوس ، ولو أن فى فترات التزاوج يصبح حجمه حجم الحمصة .

كما أنه ليس للذكور أعضاء خاصة للتلقيح كما فى الثدييات ، باستثناء بعض أنواع قليلة مزودة بقضيب ليس له قناة داخلية ، ولكن له على سطحه العلوى مجرى صغير .

وللأنثى الباجمة أعضاء تناسل كاملة ، ولكن فى الجهة اليسرى فقط . أما فى الناحية اليمنى فهى ضامرة ، وعلى ذلك فللأنثى بيض واحد ناحية اليسار يشبه حبة العنب ، مما يعد اختزالا للاعضاء واقتصادا فيها .

ثم أن أهم ما يتميز به الهيكل العظمى فى الطير هو امتلاء تجاويف عظامها بالهواء ، وبذلك يخف وزنها بدون أن تضير ذلك بصلابتها ، وأكثر ما تكون هذه الخاصية وضوحا فى الطيور الكبيرة القوية بالطيران مثل البجع وطائر النوء ، أما الطيور الجا لهارية فيحل النخاع محل واء فى تجاويف عظامها .

هذا بعض ما أراد الله من المسلمين بحثه ودراسته وتأمل الحكمة فيه ، ليفتق أذهانهم ، وليحثهم على العلم والتعلم ، عسى أن يصلوا بهذا العلم إلى ما يفيدهم فى حياتهم الدنيا ، وليصبحوا نبراسا يهتدى به ، وقادة فى العلم ينشرون لواءه فى جميع بقاع الأرض .

آشتراكية فى الإسلام ؟

للأستاذ محمود شلبى

ما إن فرغت من قراءة كتاب « اشتراكية الإسلام » للدكتور مصطفى السباعى ، حتى وجدت نفسى تسألنى : آشتراكية فى الإسلام ؟ .

هل صحيح تلك الدعوى التي يطلقونها ويزعمونها ... أن الإسلام اشتراكى ، وأن الاشتراكية من الإسلام ؟.

والسؤال ليس سهلا ، والإجابة عليه كذلك ليست أمراً ميسوراً ...

ولئن كان مصطفى السباعى فى كتابه بدا رائداً محلقاً ، عالماً ملما بأطراف القضية ، يصول فيها ويجول ، ويسبح فى أرجائها ، وينزل إلى أعماقها ، سبح المتمكن الدارس الواعى ... لئن كان هذا كله كان من المؤلف ، إلا أننى ألقى عليه نفس السؤال : هل الاشتراكية يا مصطفى حقا من الإسلام ؟

ولقد قالها مصطفى عالية صريحة مدوية ، أن الاشتراكية من الإسلام .

بل ذهب إلى أبعد من هذا ، وأفتى إفتاء مؤسسا على النصوص والأصول ، أن تحديد الملكية الزراعية من الإسلام ، وأن تحديد الأرباح من الإسلام . وأن إشراك العمال فى أرباح الشركات من الإسلام .

والكتاب فى هذا يأتى فريداً فى بابه . فى وقت تتغير فيه أوضاع تاريخ هذه الأمة ، ومقدراتها ومقوماتها .

ولقد جمعنى مجلس قال فيه قائل : الواقع أن الاشتراكية ليست من الإسلام ، لأن الإسلام يقدس الملكية ، وحسبنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من مات دون ماله فهو شهيد .

وردى على ذلك القائل ومن ذهب مذهبه أن الحكم لا يؤخذ من نص واحد . وإنما توضع النصوص إلى جوار بعضها البعض . ومن مجموعها تؤخذ الأحكام .

فلئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك . ولقد قاله حقا . إنه قال أيضا لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وبذلك يتكامل المعنى . وتتجلى الحقيقة .

ولقد دأب القرآن الكريم على هذا المنوال دائما . فما ذكر النار إلا ذكر جوارها الجنة . وما خوف إلا ورغب . وما ذكر رحمته إلا وذكر عذابه .

فلا ينبغى أن يقال النص ليستشهد به على قضية . وتترك سائر النصوص التى تكملة .

وأنا أدعو جميع الناس أن يقرءوا ذلك الكتاب . خاصة فى تلك الأيام الحاسمة من تاريخ البلاد .

فإن الأمة الآن بسبيل وضع دستورها . واختيار الأسلوب الذى ترتضيه لحياتها القادمة .

وأعود الآن إلى سؤالى وأسأل نفسى ! أشتراكية فى الإسلام ؟ .

وجوابى أن المسميات ليست شيئا ذا بال فى الموضوع . وإنما الحقائق هى الموضوع سمها الاشتراكية . سمها الكفاية والعدل . سمها توزيع الثروة على أساس تكافؤ الفرص ... سمها ماشئت . فلسنا نبحث عن اللافتات . وإنما نحن نبحث عن الحقيقة .

فما حقيقة هذا الدين المسمى بالإسلام ؟

ما حقيقة الإسلام . التى تتفرع منه حقائقه جميعا ؟ .

حقيقة الإسلام هى قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل » .

الإسلام يريد العدل .

كل ما يحقق العدل هو من الإسلام .

لأن كانت الاشتراكية تحقق العدل فهى من الإسلام .

والنظم بتطبيقها لا بأسمائها ، فلئن كانت الاشتراكية تأتينا بالعدل بين الناس فهى من الإسلام ، وإن كانت لا تأتينا بالعدل فهى ليست من الإسلام .

وهذا ما أحب أن يلتفت إليه الناس من هذا الأمر .

حتى يظل الإسلام بريئا طاهراً مما ينسب إليه وهو منه براء .

فكم لاقى الإسلام ، وكم اتهم بسبب انتساب السياسة إليه فى شتى العصور .

فما من دولة حكمت المسلمين فى تاريخهم الطويل ، إلا وألقت بأفكارها على الإسلام ، ونسبت ما تفعله إلى الإسلام .

وكان من أثر ذلك أن كره الناس الإسلام نفسه ، ظنا منهم أن ما هم فيه من بلاء ومظالم سببه الإسلام ! ! .

ولقد كانت الدولة العثمانية مثلا سيئا فى تاريخ المسلمين ، حين قامت منتسبة إلى الإسلام ، وحكمت بقاع المسلمين باسم الإسلام ، وهى فى أسلوب حكمها بينها وبين الإسلام ما بين السماء والأرض !

ولقد ود المسلمون لو تخلصوا من حكمها ولو إلى الشيطان ، من سوء ما ذاقوا ومن سوء ما لاقوا .

من أجل ذلك ينبغى أن نقولها صريحة حققوا العدل بين الناس ... فإن رأيتم أن الاشتراكية تحققه فكونوا اشتراكيين ، واعلموا أنكم بذلك قد حققتم أصلا من أصول الإسلام .

وإن لم تحققوا العدل فى اشتراكيتكم ، فاعلموا أنكم لستم على شىء ، ولستم من الإسلام فى شىء .

ما كان الإسلام يوماً مادين أسماء ومسميات ، وهو القائل فى آى كتابه : « إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ... ما أنزل الله بها من سلطان » .

فالإسلام بطابعه يسخر من الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟ ! . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .

إنه ينادى بأعلى صوته أن الله يبغض أشد البغض أولئك الذين ينادون بالشعارات لمجرد الشعارات ، ليخدعوا الناس وهم بها لا يعملون .

إنه يريد روح التشريع لا التشريع نفسه ، يريد حقيقة العدل لا العدل نفسه ، يريد جوهر الأمور لا مظاهرها .

وإذا علمت هذه القاعدة من الإسلام بالضرورة ، انزاح عن صدر الإسلام ذلك الكابوس الثقيل ، من النظريات العديدة البغيضة ، التى ألصقت به وهو منها براء .

لقد كان التوحيد الإسلامى تحدده كلمة واحدة سهلة حلوة هى « ليس كمثله شىء » فجاء المنحرفون ، وصنعوا للناس آلهة أخرى تحت عناوين التوحيد .

كان الاقتصاد الإسلامى سهلا واقعيا يدور مع واقع الحياة ، ويحل مشاكلها بما يكفل العدل بين الناس ، فأبى المنحرفون أن تكون الأمور خطا مستقيما ، وأرادوها عوجا وانحرافا .

وفرعوا ، وصنفوا ، وعقدوا ، ودخلوا بالناس فى منحنيات لاأول لها ولا آخر .

ولو أنهم عقلوا قول الله « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ما التوت عليهم معايشهم وما انطمست فى عقولهم أنوار الشريعة .

فأى نظام سمعت به أو تسمع به من بعد ، سل نفسك : هل هذا النظام يحقق العدل بين الناس . .

فإن آنست فيه عدلا فاعلم أنه لاينافى الإسلام ، وإن آنست منه ظلما فاعلم أنه ليس من الإسلام .

شرط واحد يضاف إلى تلك القاعدة ، هو ألا يحل حراما أو يحرم حلالا .

ولنأخذ على ذلك مثالا تطبيقيا حيا بيننا ... تخفيض الإجارات ... هل هو من الإسلام ؟ .

الجواب ... لقد كان أصحاب المبانى يغالون فى تقدير إيجار مبانيها ، ويستنزفون عرق العاملين والموظفين ، كأنما قد كتب على الموظفين أن يكدحوا طول الشهر ، ليسلموا أجورهم بعد ذلك لأصحاب المبانى .

فهل هذا من العدل ؟ .

كلا ... إنه أكل لأموال الناس بالباطل ... فإذا صدر تشريع يخفض الإيجار قليلا ليحقق العدالة بين المالك والمستأجر فهو من العدل ... فهو من الإسلام .

بقى أن ننظر هل تخفيض الإيجارات أحل حراما أو حرم حلالا ؟ .

كلا ... إنه لم يفعل شيئا من هذا ، ولم يجاوز حدود ما شرع الله ...

إذاً تخفيض إيجارات المبانى من الإسلام .

ثم هذا الأمر الجارى الآن وهو وضع أموال بعض الرأسماليين تحت الحراسة ... هل هذا من الإسلام ؟ .

نعم ... بل هو روح التشريع الإسلامى ... إن شئت الحقيقة :

لأن الله يقول « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ... فإن كان الأصل فى المال هى حرية المالك فى التصرف فى أمواله ... إلا أن هذه الحرية إذا انقلبت ضرراً أكيداً على كيان المجموع وكيان الشعب ، وجب فوراً انتزاع هذا المال من صاحبه ، ووضعه تحت الوصاية ... وهو ما يسمى شرعا بالحجر على السفيه .

وأى سفاهة أكبر من إنفاق الأموال فيما يعود على المجتمع الذى آواهم وأكرمهم بالضرر المبين ؟ .

أى سفاهة أكبر من إنفاقها فى إشاعة الفحشاء والمنكر والدسائس والمؤامرات .

لقد أصبح الأمر واجباً وحتما أن توضع أموال هؤلاء تحت الحراسة ... وأن تنوب أمحابها فى إدارتها .

وهكذا تمضى مع الأحداث الرائعة التى تجرى بيننا الآن ... حدثا حدثا ... وتسأل نفسك : هل هى تحقق العدل ، هل هى تحل حراما أو تحرم حلالا ..

وعلى ضوء ما تجيب به يكون ما حدث إسلاما أو غير إسلام .

فلو رأيت قوما يزعمون أنهم يحكمون بالإسلام ، فالتمس العدل فى دولتهم ، فإن لم تجده فاعلم أنها دعوى زائفة ، مهما رفعوا لها من الشعارات .

ولقد كان الله أعدل الحاكمين ، لأنه يحاسب الناس بما فى قلوبهم ، لا على أساس من صورهم .

كذلك ميزان الإسلام يزيد بمثاقيل الحق ، ولا يزيد بموازين المظاهر .

ولذلك يقول سبحانه « اليوم لا تظلم نفس شيئا » ... يوم القيامة « لا تظلم اليوم » لأن حقائق الناس تتبدى وتتكشف ، فيتحقق العدل فى أسمى معانيه .

والله الذى أخذ نفسه بقوله سبحانه « ولا يظلم ربك أحدا » هو الله الذى أنزل فى كتابه « إن الله يأمر بالعدل » لأن العدل يحب العدل ويأمر به . . . فالله أعدل العادلين فهو سبحانه يأمر بالعدل لأنه صفة يحبها .

ذلك هو روح التشريع الإسلامى ، وما كان الإسلام أبداً دين جمود وتحجر ، بل كان روحا من الله يسرى فى موات الأجيال ، فيحييها بإذن ربها حياة طيبة كريمة على أساس من العدل والربانية .

والذين يحبون أن يزعموا أن نظاماً ما هو من الإسلام ، عليهم أن يعلموا قبل كل شىء ، أن الإسلام يدعوا إلى العدل ، ولاتهمه الأسماء ، ولهم بعد ذلك أن ينسبوا نظامهم إلى الإسلام أو لا ينسبون .

ولو أرادوا لهذا الدين تلخيصا لقلنا هو أمر بالعدل ونهى عن الفحشاء .

واليوم الذى تأمر فيه الدولة بالعدل . . .

واليوم الذى تنهى فيه عن الفحشاء . . .

فقل هى دولة تسير نحو الإسلام ، لا دولة تطبق الإسلام ، لأن الإسلام يشترط النية ، وهى أن تريد بعملك وجه الله .

هذا ما نريده من كل من أراد الإنتساب إلى دين الله .

هذا هو العطر الذى يفوح من اقتصاد الإسلام . .

انه إقتصاد معطر ، يتحول إلى ربانية رائعة ، تجعل التعامل بين الناس أخوة ، والتبادل رحمة والبيع والشراء ربانية ، يتوجها كلها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين المعاملة » .

والآن . . . وبعد . . . هذه الجولة . . . آشتراكية فى الإسلام ؟ .

نعم . . . على أن تحقق عدلا ، وتمنع ظلماً ، وتؤاخى بين الناس .

الصوفيه رأس الروحية الحديثة

للطبيب العراقى الاستاذ إبراهيم الكواز

(٣)

أردت أن أرجىء الكتابة فى هذا الموضوع وأن أغلق بابه نزولا عند كلمة الأستاذ محمود شلبي بالعدد السادس للسنة الثالثة المنشورة بنفس جملة « الإسلام والتصوف» التى فسحت المجال لمؤيديه ومنكرية أن يكتبوا موضحين معالمة أو جاحدين فعتله . ولكن الذى دعانى إلى الكتابة فيه ثانية أعداد المجلة نفسها التى تقالت من العدد السابع للسنة الثالثة وماتلاه ، فلا يكد عدد من أعدادها العشرة (إذلم اطلع على العدد ١٢ من السنة الثالثة بعد) يخلو من جملة أو عدة جمل عن العلم الروحى وأثباته ، غير أنه كان بصورة غير مباشرة .

فقد بلغ الأستاذ لبيب البوهى فى تابينه لصديقه . . . . غاية جعلنى أشك أن تكون غير هذه المجلة التى بيدى ، إذ هى نفس المجلة التى اغلقت دون هذا العلم أبوابها ولكنى بعد أن استمريت فى القراءة هالنى أن وجدت البحث وكإنه كتب بقلم ناصر من انصار العلم الروحى الحديث . وأن لم يكن العلم المذكور هو مدار البحث . وقلت فى نفسى قد تكون الكلمة فى هذا العلم أشبه بالرماية من غير رام ، أن صح التعبير ، حيث لم يكن مقصد الأستاذ الذى رسخ مقاله ببالى بحثاً خاصا بالعلم المقاوم — بفتح الواو — بل تابينا لراحل عزيز محترم . أسبغ عليه أو صافا لا يأتى بها غير رجال العلم الروحى الحديث .

غير أن ظنى زال وتزعزع ، وإذا برجال التصوف ، وبمن أنكر العلم الروحى وقاومه يؤيدون هم أنفسهم وبصورة غير مباشرة أسس هذا العلم الذى ما زال يحبو ، والذى نال أول مراتب المكانة السامية فى جامعات لندن وكبردج وا كسفورد بالإضافة إلى العديد من الجامعات الأمريكية واللاتى فتحت درجات علمية عديدة فى هذا العلم ، والذى اقربه عدد كبير من العلماء وعلى رأسهم بضعة من حملة جوائز مذيل فى الطب

والعلوم كالدكتور السيرار ثركونان رويل والدكتور الكيس كاريل والسير الليفرلوج وهذا ما جعلني أعود فى الموضوع عوداً على بدء ليخطو هذا العلم خطوه أخرى ، وعلى يد وجهاء رجال التصوف أنفسهم فيتحقق الفخر بما شهد به المقاوم . لاننا لا نعتبرهم بصف الأعداد وإن أبدوا أراء يظن بعض ضعاف الإيمان أنها قاسية وأنها محطمة للعلم الروحى والقائمين به ، أما رجال هذا العلم فقد علموا أن بمثل ذلك الجدل تثبت أركان هذا العلم ويحتل مكانه اللائق فى جامعاتنا وعلى رأسها الجامع الأزهر موئل العلوم الحديثة وسباق نهضتنا .

ولقد لاحظنا أن هناك معاهداً تدرس ما يسمى بالعلوم النفسية وتمنح الدارسين — ولو بالمراسلة — دبلومات . نعم دبلومات فى العلوم النفسية ، أما إذا باحثت أيامنهم عن النفس وخلودها لأدهشك أنه ينكر وجود النفس ولا يقر بالطبع بخلودها ، ونحن الصوفيون يجب ألا نقع فى نفس الخطأ ، خطأ الكلام والبحوث المتعددة عن الروحية ، ثم ندحض وجود استقلالى للروح وخلودها . وما النفس ألا روح قد تعلمت وتثقفت كما وضحت ذلك بالعدد السادس من المجلد الأول لمجلة الإسلام والتصوف ص ١٧ .

والآن تعالى معى أخى القارى ، واحكم للعلم الروحى أو عليه ، ثم قل للاستاذ شلبى وبقية الأخوان [ومن فمك أدينك] وخذ أى عدد أصدرت المجلة ولكن العدد العاشر للسنة الثالثة كيفما اتفق وأورق صفحاته معى ، ولتعجب معى فى أول صحيفة من صفحات جهادها فيوقفك لشيخ المشايخ حفظه الله من جملته قوله [والحياة الروحية] وفى السطر الرابع [شهرة الحياة الروحية الصوفية] ولا بأس فالصوفية والروحية صنوان كما جاء بكتابى [نصير السنة يناقض السنة المعد للطبع] ثم تتكرر هذه الروحية فى جميع كلمة شيخنا النيرة ، حتى تتوضح فى قوله (شهر الروح والإلهام) وقد قاربت الكلمة ختامها ، لكننا والعدد أمامنا زاخر بؤيد الروحية فما علينا ألا أن نهدى القراء باقة من الأزاهير متفرقة بين دفتيه ، وعلى منكر الروحية أن يعيد النظر فى هذا العدد وما سبقه وما تلاه ثم ليحكم للروحية أم عليها .

بالصدفة خلت كلمة أخينا الأستاذ طه عبد الباقى سرور من أى ذكر للروحية ولو من طرف خفى وما ذلك ألا لأنها تتعلق بموضوع مادى ليس ألا هو نظام الحسبة فى

الإسلام . فلنتجاوز موضوع الأخ لأن فى مواضيعه الأخر شفاء وتأييد للروحية ، فتأتى أمامنا ص١٢ فيتطرق الدكتور أحمدغلوش إلى القول (كانت النفوس البشرية) و ص ١٤ (الإقبال على الله بالروح والقلب) و (الزق الروى) و ص ٢٣ (الذى يبشر بالروحانية الإسلامية) وص ٢٤ (الإنسانية الروحية) وص ٢٥ قوله (المدد الروحى) و (الحياة الروحية) وص ٤٠ (الرئيس اللهم وعامة الإصلاح الروحى وفى ص ٤١ (يعانى أزمة روحية) وص٤٢ (الخطة الإصلاحية الروحية) وص ٥١ (ونزعوا روحى فى جسدى) ، وقول السيد شلبى نفسه (وهو يقبض روحه) و (فالإنسان محجوب عما تدركه الحواس) ، وهذا إقرار منه بغير المنظور — ومنها الروح — الذى لا تدركه الحواس ألا بعد كشف الغطاء ، وقوله ص ٥٢ (الإنسان نفسه محجوب عن نفسه) وفى ص ٦٣ قال الأستاذ فوزى عرفه (ترتبط بأساس روحى) وقوله ص ٦٤ (موصول بالروح) .

وهذا غيض من فيض مما أبدته المجلة وكتابها ، واعترفت بالعلم الروحى ، وكون الإنسان فيكون من جسد مادى منظور ونفس غير منظورة ، وأن لهذه الخلود فى نعيم مستقيم أو جحيم مقيم ، وأن نكران ذلك وجحودة هو فى غير محله ، وكما قال أمير المؤمنين على (٤) الناس عداء لما جهلوا فلا يجب أن تكون العدواة محرضة إلى تكفير العامين بتحقيق هذا العلم ، بل يجب أرشادهم إلى ما خلق السنة فقط ، وذلك لمن سها أو جهل بعضها أو فإنه شىء منها وبذلك تهيمن الصوفية ذاتها على الروحية وتسيران جنبا لجنب ، حتى يهضم الناس الصوفية ويذعن معارضوها وجهال قدرها فيقتدى بهم الروحيون الذين الانت الروحية شكيمتهم فيسلمون .

مجلة الاسلام و التصوف :

نشرنا مقال سيادته أجلالا لحرية الرأى ، للتصوف بعد ذلك أفقه ومجالاته فى الإخلاق والمثاليات الإيمانية ، وجهاده فى الدعوة الربانية القرآنية .

وقد يلتقى بالروحية الحديثة — كما يسمونها — فى بعض تعبيراته ، أو بعض أجزائه ولكنه ولا شك يختلف عنها تماماً فى منهجه ورسالته . وسيتولى الأستاذ طه عبد الباقى سرور بيان موقف التصوف من الروحية الحديثة . ومن الدعاوى الكثيرة المعاصرة فى العدد القادم إن شاء الله .

آداب الطريق الصوفى

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

(٩)

ومفهوم هذا القول أن انقياد الإنسان لله ، وطواعيته له ، وإخلاصه لدينه ، يكون له أثر فى صلاح زوجته ، وحفظ أسرته ، وتوفيقة فى حياته وسعادته ، والعكس بالعكس . والله جل وعلا يقول « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة . ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وأى حياة أطيب من السعادة الزوجية ، ومن راحة البال مع كثرة العيال ؟ وهذه قاعدة تكاد تكون عامة ، وضع أساسها القرآن الكريم بقوله « الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، أولئك مبرءون مما يقولون ، لهم مغفرة وأجر عظيم » .

ولا يعترض عليها ، بزوجتى نوح ولوط الوارد قصتهما فى القرآن الكريم « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين ، وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون . إذ قالت : رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ، ونجنى من القوم الظالمين » فإن هذا من قبيل اختبار إيمان المؤمن وقوة عزيمته ، ودليل على أن الهداية بيد الله وحده « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء » ، « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » .

فمن أراد الله ضلاله أضله ولو كان زوجة نبى ، ومن يرد أن يهديه هداه ولو كان زوجة شقى .

وقد فهم الصوفية هذا الفهم العالى ، فاستقاموا ، فكان لهذه الاستقامة صدى كبير فى توفيقهم فى حياتهم الاجتماعية ، وأثر فى إنجاب ذرية طيبة تحقق معنى قوله تعالى « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم ، وما ألتناهم من عملهم من شىء » وتسير على هدى من الله وعناية منه ، ويصحبها التوفيق على مر الأجيال وتعاقب الأزمان «وكان أبوهما صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » ولذلك كان أفضل مايورثه الرجل لأبنائه من بعده هو العمل الصالح ، فهو الذى يبقى دون غيره من مال أو نشب . أليس الله هو القائل : » وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله ، وليقولوا قولا سديداً » ؟ .

وقد وضع الغزالى — رضى الله عنه — فى كتاب الأحياء كثيراً من القواعد الصحيحة للتربية الصوفية ، وكلها تنظر إلى أن القدوة الصالحة هى الأساس السليم فى التربية .

والتربية الحديثة لا تخرج على هذا المنهج ، بل تنادى به وتدعو إليه . وتشترط فى المربى أن يكون فى سلوكه الشخصى مثالا يحتذى وتوجيهات المناهج المختلفة ، وخاصة مناهج الأخلاق والتهذيب والتربية الدينية ، تطلب فى المعلم النموذج الكامل ، الذى إذا حاكاه تلميذه حقق الهدف المنشود .

ومن الطبيعى ذلك ؛ فليس من المعقول أن يطلب معلم الأخلاق من تلاميذه الحرص على مكارم الأخلاق وهو بعيد عنها ، بل العكس هو الصحيح . والأخلاق لا تعلم ، ولكنها تقتبس وتغرس ، ومهما حاول المربى أن يلقن تلاميذه اجتناب الكذب واتباع الصدق فإنها تكون محاولة يائسة متى شاهدوه يكذب ويراوغ .

وكذلك الأب فى بيته لا تنتظر من أسرته الحرص على الفضائل طالما كان هو بعيدا عنها . وكيف ينجح مثلا فى تجنيبهم عادة التدخين إذا كان هو فى نفسه مدمن تدخين؟ . والطفل لا بد له أن يقلد — والبطل الذى يقلده فى نظره هو أبوه . فليجتهد الوالد أن يكون فى عينى طفله بطلا بمعنى الكلمة ، حتى لا يفجعه مستقبلا فى مثله الأعلى ، ويحطم الصورة التى رسمها له فى خياله ، وأحاطها بسياج من الحب والتقدير والولاء .

إن كثيراً من المضايقات التى تصادفها المدرسة فى حمل التلاميذ على سلوك معين أو اجتنابه ، يرجع إلى المنزل ، فهو المجتمع الأول الذى مارس فيه حريته ، واقتبس منه شخصيته ، وكون فيه طبيعته . وتتحول نفوس التلاميذ إلى ميادين صراع تتقاسم شخصيته ، وتوزع طاقته .

وسواء نجحت المدرسة أو فشلت فقد تعرض الطفل لحرب ضروس ، قاسى من ورائها الكثير من المتاعب والأهوال . والسبب فى كل ذلك راجع إلى التربية الأولى التى طبعت الطفل بطابعها وتركت فيه جذورا قد يبقى بعضها معلقاً بنفسه ، رغم جهاد المدرسة المرير فى اقتلاعها واستئصالها .

وقد نادت التربية الحديثة بوجوب التعاون الوثيق بين البيت والمدرسة ؛ حتى يكون المعلم على هدى وبصيرة بظروف التلميذ وبيئته ، ومدى ما أثر ويؤثر فيه من عوامل خارجية ، قد تعوق تدرجه العلمى والسلوكى والتهذيبى .

والبيت يكون خير معين للمدرسة إذا ما فهم هذه الرسالة حق الفهم ، وأدرك أن نشأة الطفل مسئولية كبرى ملقاة على عاتق الآباء ، ورسالة سامية حملتها لهم السماء ، وأوجبت للأبناء عليهم حقوقا . هم مطالبون بأدائها ، قبل أن يطالبوا أبناءهم بالبر بهم والطاعة لهم .

وقد تكون عناية التربية بهذا التعاون خطوة عملية ، ومحاولة فى طريق تصحيح الخطأ ، الذى نشأ عن الانحراف عن قواعد الدين وعدم التمسك به فى بيئاتنا ، وعلاج للنقص الذى نتج عن عدم التمسك بالتربية الصوفية التى كان فى الإمكان أن تربح المدرسة فى وقتنا الحاضر من كثير من الأعباء ، وتترك لها فرصة واسعة تتجه فيها إلى إتمام البرامج العلمية والعملية ، والسير بها على أكمل وجه وأرضاه .

إن التربية الصوفية تربية عملية هامة ، فهى تخلق من الطفل رجلا قادراً على تحمل أعباء الحياة ، وصالحا لأن يعقد صلات طيبة مع غيره من الناس ؛ لأنها تحاول أن تبنى شخصية الفرد على أساس أن ينظر إلى الحياة نظرة واقعية بعينى رجل .

وحسبنا منه أنه يضع ميزان المراقبة نصب عينيه . يحاسب نفسه بنفسه ؛ ويجعل من ضميره سلطاناً يحترم رقابته ، ويقدس أحكامه .

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

النور المحمدى السارى فى سائر الأسماء والصفات

الأستاذ مصطفى طه شكيبان

الإنسان والملائكة والجن :

١ — من فيض أنوار رحمة الله جاء آدم صنعة الله لذاته ، آية كبرى بين يديه ، وسراً أعظم للوجود كله ، ومفتاحاً كريماً لحكمة الله فى الأكوان وصورة رائعة الجلال على صفات قدس الرحمن :

فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ...

خلق الله آدم على صورة الرحمن ...

٢ — ومن فيض أنوار نعمته أقامه فى أكرم حقيقة وأجل كيان :

لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم .

٣ — ومن فيض أنوار حكمته خلع عليه جلال الخلافة عنه فى الملك ، وأحله منازل كرامته فى الملكوت — مخلوق الله لذاته فى أرضه وسمواته ، وضيفه الكريم فى جناته ، وصفيه المختار لحضرته :

إنى جاعل فى الأرض خليفة ... والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى إلى صراط مستقيم ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة .

إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر واتخذ الله ابراهيم خليلا .

لو كنت متخذاً غير ربى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الرحمن . . .

٤ — ومن فيض أنوار علمه أطلعه على صور الوجود ، وحكمة الوجود ، وأكرمه بنور المعرفة العليا دون خلائقه أجمعين ، فجلس إليه الملائكة يتلقون عنه حكمة الله السارية فى كل الوجود . . وما زالوا يتعلمون ! ! .

وعلم آدم الأسماء كلها . . ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . . قالوا : سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . . قال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض . . .

٥ — ومن فيض أنوار روحه نفخ فينا روح الوجود ، وسر الخلود ، ونور التسامى والصعود ، من فوق كل الوجود أصفياء الحق لذاته ، ومختاريه لحضرته فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ، فقعوا له ساجدين .

وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة .

٦ — ومن فيض أنوار صفاته القدسية : فطرنا صورة عليا على جماله الباهر : لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم . . . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة تخلقوا بأخلاق الله . . . إن لله ثلاثمائة خلق . . من تخلق بأحدها دخل الجنة . ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . . . » كان خلق رسول الله القرآن .

كونوا مثل أبيكم الذى فى السموات ، فإنه تشرق شمسه على الطائعين والعاصين .

٧ — ومن فيض أنوار كرمه : اختصنا بحضرته وكرامته ، وأضافنا إلى ذاته ومنحنا أسرار الوجود ، وسخر لنا كل موجود — فى ملك وملكوت — من كل كائن من الجن فما دونهم ، ومن الملائكة فمن مثلهم ومن دونهم . . أحاطنا بعزته بفيض من ربوبيته ، فانطلقنا عباده المصطفين الأخيار ، والمكرمين الأبرار :

ولقد كرمنا بنى آدم . . . وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . فأنا أول العابدين . . . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب . . . ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ... إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ، ويستغفرون لمن فى الأرض . . . والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ...

٨ — هذا هو الإنسان مخلوق الله لذاته : من روح الله روحه ، ومن أنوار فيوضات الله .. حياته ومعرفته ، وكيانه ومقاليده .. الكل مخلوق من أجله ، وهو هو مخلوق الحق لذاته ، أول العابدين منه ، وأول المسلمين منه ، وأروع العارفين بالله منه .. حتى إن الملائكة لتستقى المعرفة من فيض علمه ، وترقى فى فيض نوره فى كرامته وفى صحبته :

الرحمن فاسأل به خبيراً .. وما كان الخبير غير محمد الإنسان ... وعلم آدم الأسماء كلها ... قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ...

٩ — هذا هو الإنسان مفتاح سر الكون ، وحامل أمانة الحق ، ووجه حكمة الخلاق ، ونور وجه الرحمن .

إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان . واصطنعتك لنفسى .

خلق الله آدم على صورة الرحمن .

فما الأكوان بين يديه ؟ .

نور الأكوان وصفاء الإنسان . . .

الكون كله أنوار متسامية بعضها فوق بعض . . والإنسان فيها شمس هذه الأنوار ، ومفتاح سرها ، وخلاصة كيانها . . .

الكون من مادة متماسكة ، أو مادة متشعة . . وكلها من عناصر وذراتها من كهرباء . . أى من نور متماسك فى أرض ، وضياء متشع فى نجوم وشموس .. والحياة فيه جماله وحياة الإنسان من فوق حيواته سره وضياؤه الباهر .

فإن كان الكون من نور .. فكيف بالحياة ؟ .

وإن كانت الحيوات فى نبات وحيوان خلاصة المادة وصفوتها . . فكيف بالحياة فى الإنسان ؟ .

إن تيار الكهرباء فى أسلاك المادة أحال الظلام إلى أنوار باهرة ! ! . فكيف بروح الحياة ؟ . .

إن مصابيح الزجاج والأسلاك تملأ الأرض ضياء .

وإن ضياء النفوس الزكية ، وأنوار القلوب المشرقة ، وحكمة العقول الباهرة . . هى سر كل جمال فى الكون ، وروعة كل سعادة فى الحياة . . فكيف لا تكون أجل من ضياء الشمس ونورها فى الحياة ؟ !

قضايا تأخذ من اليقين العلمى ، واليقين القرآنى صورته وبراهينه .. قال تعالى :

وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شىء .

قال العارف بالله فريد ابن العطار :

إن لكل ذرة فى الوجود شمساً ظاهرة وشمساً باطنة .

وليس ذلك سوى منطق العلم اليوم عن ذرات المادة المكونة من كهرباء فى نواة موجبة (بروتون) ومن الكترون سالب دوار حولها .. حتى عد العلماء السر الذى جمع بين الطاقة والمادة ومنح الإنسانية معرفة أجل عن تكوين الوجود وأنه طاقات متماسكة ، وطاقات متشعة ، قالوا : إن هذه مفاتيح أسرار الوجود فى الآفاق .. وقال من قبل سيد من العارفين هو سيدى محيى الدين بن عربى عن عالم السمسة الذى يعطى فيه كل شىء سره وطاقته .

ولو لم يكن فى الذرة من سر إلا تفسير الكون بأنه كتل من النور والضياء تماسكت وجمدت فى المادة ظاهراً ، وانطلقت وتشعت فى النجوم ظاهراً ، وانطلقت

فى الحيوات باطنا .. لو لم يكن إلا ذلك لكفى فهو تفسير قانون الوجود الذى وضعه الله ، وحدثنا عنه فى قوله تعالى :

الله نور السموات والأرض .

فما ثم إلا النور .. والإنسان فى موكب النور المخلوق .. وفى قمته ومعراجه الأسنى قرباً من النور الذاتى الكلى الأعظم . فالوجود فيض النور الأعظم ، والإنسان خلاصة هذا الفيض ونور سناه ..

ترى أيفيض النور غير النور ؟ ! وهل يفيض الرحمن غير الرحمة ؟ . .

والآن كيف سرت حكمة الله فى كتاب ؟ . .

وكيف تجسدت رحمته فى بشر ؟ .. وكيف تجمعت أنواره فى إنسان ؟ . .

نور الحكمة ونور النبوة :

فاض الحكيم ذو الجلال والإكرام على الوجود رحمة محيطة .. فى أرزاق جارية ، من الأرض نابعة ، ومن السموات متدانية :

وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه . . وفى السماء رزقكم وماتوعدون إن رحمة الله قريب من المحسنين . ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً . فجرت ينابيع الخير تمسك بكيان الحيوات فى معيشة على الأرض . . وكانت تلك حوافظ الحياة فى كيان . .

ولكن الأجل من ذلك دوافع الحياة فى تطور وروح تساميها فى معراج إلى رب الحياة مصدرها الأول ، وملاذها الأعظم .. عود على بدأ .. كما بدأنا أول خلق نعيده . إن إلى ربك الرجعى .

لذلك جاءت حكمة الله فى كتب ، وتنزلت صلوات الله على عباده فى حكمة ، وتجلت أنواره فى بشر .

فما أن تناسى آدم رسالته وسيادته فى عالم النعمة الذى لا يجوع فيه ولا يعرى ، ولا يظمأ ولا يضحى . . ما إن تناسى ولم يجد له الرحمن عزماً . . حتى جاءته من بعد الخطيئة رحمة التوبة تسمى :

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه . . جاءته حكمة الهدى فى إنابة وكلمات وصلوات . . أوفى ذرية كريمة كلمات هدى وحياة مباركات . . كما قال تعالى فى عيسى : وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه . . فمن أجل هذه الكلمات وشفاعتها . . ومن كرامة جوامع كلماتها محمد الكريم كانت رحمة آدم وذريته ، ليقوم برسالته مستأنفاً سعيه وكدحه فى لقاء ربه .

يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه .

لقد جاءته أنوار الله تهديه إلى أنوار فضل الله وقربه :

ياابن آدم كن خليفتى كما أردتك أكن لك كما تحب وفوق ما تحب كن معى أكن معك . . أذكرنى أذكرك . . أشكرنى أزدك . . تعرف على أتفضل عليك . . كن لى أكن لك سمعك وبصرك ونور كيانك وتساميك . . الرحمن فاسأل به خبيراً . من يطع الرسول فقد أطاع الله ، فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون . لئن شكرتم لأزيدنكم أنا عند حسن ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى . .

ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعاً . ومن أتانى يمشى أتيته هروله .

ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه . . وبصره . . ويده . . ورجله التى يمشى بها . . .

فيقال عنه : وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى .

ويقال عنهم : فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم .

ويقال عنكم فى الملأ الأعلى : ربانيون . . ولكن كونوا ربانيين

هذه إذاً أنوار الله تمشى على الأرض بشراً وناساً وحيوات رائعة من جلال الحق . . وتنطلق فى الوجود روح الوجود وهداه ، وسر الخلود وسناه . . من النور صدرت ، وفى النور تعيش ، وفى النور تتسلى ومع النور تصعد فى رحاب النور الأعظم . .

ولأمر ما . . سمى الله حكمته فى كتاب روح الحياة ونورها . .

وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الأيمان

ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا . وسماه برهان الحق وضياء : « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا » . . . وقال : فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا . . وقال : إن آياته تزات لتخرج الناس إلى موكب النور :

ألم . كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور . وصلواته منه على عباده كذلك .

هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور .

ويوم يقوم الناس لرب العالمين . . يقوم المؤمنون فى موكب النور يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم ، وبأيمانهم . . ويطلبون مزيداً من النور وتمام النور : يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون : ربنا أتمم لنا نورنا . .

فهل تتصور أن يقود موكب النبوة فى الأرض وموكب النور فى السماء غير النور ؟ . . لن يكون غير النور . . إن نور النبوة مع نور الحكمة . . نور الحياة ، ونور الهداية . .

والآن . . فما مكانة نور المصطفى بين أنوار النبوة ؟ . .

نور المصطفى ونور النبوة . .

لا عجب أن تكون الحياة رقائق النور فوق الكون صنعة النور ولا عجب أن تكون حكمة الخلاق أنوار الهدى ليخرج الحياة الى النور الذاتى من رحاب النور المفاض : . .

ولا عجب أن يكون لواء الموكب النورانى بيد الأنبياء أنوار الحياة فى موكب النور والحياة . .

يقول عيسى عليه السلام : أنا هو نور العالم . . أنا هو القيامة والحياة . . لا دينونة على من دخل قلب يسوع . .

لا يدخل ملكوت السموات من لم يولد مرتين ...

وعنى بذلك أنه من الله للناس نور وحياة ، من انغمر فيهما فلا حساب عليه ، وأصبح حيا بحياتين .. حياة الملك بالمادة وحياة الملكوت بأنوار الهدى ، فولد مرتين ...

وقال الله عن إنجيله وتوراة موسى .. إنها نور وهدى .. فهم مصابيح الحياة تحمل مصابيح الحكمة ...

ثم عقد الله اللواء الأعلى لنبي الأنبياء ، وعلم العلماء ، وخلاصة الحياة وصفوة الأنوار ، وجماع الكلمات التامة فى الحياة ..

محمد الكريم .. فقال : إنه وجه الرحمة للعالمين ، وشهيد الحق فى الخلائق أجمعين ، وإمام الكل فى موكب النور لرب العالمين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ... فهو وجه الله ويد الله ورحمة الله ونور الله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله . بالمؤمنين رؤوف رحيم .. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . فأعلن عن حقيقته : وإنما أنا رحمة مهداه ...

فإذا انطلقت الشمس سراجاً منيراً تمنح الكون الحرارة والضياء ، لتقوم الحياة فى ماديتها وأرضها وظلماتها وشهواتها وغثها وسمنها ، وطيبها وخبيثها .

فقد انطلق محمد الكريم سراج الحياة ونور الحياة وسمو الحياة فى طهرها وطيبها وعطرها وسمو معناها .

نور الشمس أمسك بالحياة على الأرض ... إلى رحاب الحق ... وتلك رحمة الكرامة وأيا ما كان الأمر !!

فالوجود أنوار متسامية ... فى قمتها نور الحياة ...

وفى قمة أنوار الحياة نور الحكمة والنبوات ...

وفى قمة أنوار النبوات نور المصطفى قائد موكب العالمين فى أرض وسموات ...

فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً .

والآن فما يقول الصوفية فى النور المحمدى فى مزيد بيان ؟ !!

ذلك حديثنا القادم بتوفيق الله العظيم تحية لذكرى الإسراء والمعراج :

الدين والحياة

للأستاذ حامد محمود الزفزى

إن الأقلام لم يجف مدادها . ولم تنفد تصورات الكاتبين عن المثل والقيم ، ولما يزل أصحاب المعتقدات يسطرون ما ينفعلون به نجاة اعتقادهم . ويحاولون بطريقة أوبأخرى إضفاء الألوان المغرية . ولكن الواقع شيء والأمانى والمثل شيء آخر ، وإن إرادة إشراب الواقع . هذه التيارات الاعتقادية يحتاج إلى قوة الواقعية فى نفس المذهب . ويحتاج أيضاً إلى استعداد نفس فى الجماعة يهبها الاندفاع إلى هذا المعتقد ولقدأصبحت ظروف العالم اليوم غير مبيحة للخيال الجميل أو القصور الحالم أن يقود القافلة . مهما بذل أصحابه اليوم من براعة واتقنوا من فنون .

وأن ما يمكن أن يساعد الدعاة على نشر معتقداتهم . وييسر لهم أمر إنجاح أهدافهم هو مدى ارتباط الدعوة أو المذهب بالواقع الذى يعيشه الناس وبالدفع إلى الأمام وقوة النتائج المرضية والمتجاوبة مع حاجة الفرد وأغراض الجماعة : ومن أجل ذلك نرى آثار دعاة الشيوعية مثلا وحركة جهادهم قد ائمرت على الطبيعة لأنه قد استكملت ظروف النجاح للمذهب والدعاة ، فهو مصدر الخبز ونزعة الصراع وإرادة التفوق فى مجال الحياة ، ومن أجل ذلك يا صديقى أرانى بحاجة إلى مصارحتك بأن الدين لم يعد من القوة الجاذبية إليه بحيث يهرع الناس إلى حظيرته . ولم يعد له مجال للقيادة فى حقل الصراع والتكتل البشرى والمذهبي المعاصر . ولم يعد له بالتالى دعاة بالانفعال والقوة والبيان والتأثير مثل ما يتحلى به دعاة الشيوعية. ومن أنه لم يعد قوياً بحيث يتفاول الجوانب الإنسانية المتطورة فى الفرد والجماعة . ولم يكن من واقع التجربة البشرية . ولامن نتائج الصراع على طول الخط التاريخى . لهذا يا صديقى ولغيره أرانى بعد أن طال بى الأنصات إلى حديثك بحاجة إلى مصارحتك . وإذا راعيت موقف المسلمين أصحاب القرآن ودعاته . وما هم فيه من نزوع نحو التخلص من شرور الاستعمار الأثيم الذى دهمهم . وألوان الاستبداد الداخلى . ثم الاندفاع نحو

خط يحفظ عليهم ذاتيتهم . هو أقرب ما يكون إلى فلسفة التحفظ والاستغلال خوفا من السقوط فى براثن الشيوعية أو الظلم الاجتماعى بل يميل الاتجاه الإسلامى المعاصر إلى موقف التفكير فيما يمكن أن يحقق العدل . ولا يؤاب القوى الغاشمة . على ضوء ذلك يا صديقى أرانى غير متأثر بالعاطفة أو منحيز إلى فئة .

قلت نعم . يا صديقى . لا ريب أن نجاح عقيدة أو مذهب ما يتوقف إلى حد كبير على ما ينطوى عليه من توفير الاحتياجات الأصلية فى قيام الإنسان بمزاولة الوجود ومما لا ريب فيه أيضاً . أن أصالة المذهب من حيث إنه يستجيب لمطالب الفرد والجماعة فى الحقل الكونى العام أمر حتمى وضرورة لازمة يضمن له البقاء والخلود .

وإلا فكثير من المذاهب والمعتقدات قد ظهرت بل وارتفعت إلى الصعيد السياسى والاجتماعى ، ثم انقرضت وبادت قبل أن تبيد الجماعة . والتاريخ يحدثنا عن كثير من الملل والنحل والمذاهب والاتجاهات التى لم تقو على مغالبة الأعاصير ولم تثبت أمام سنة التطور والتناحر فى مجال البقاء والصلاحية . وهنا لا بد أن نلفت الأنظار إلى حقيقة هامة يتوقف عليها خلود المذهب وقوة انتشاره وإثراء أفكاره وبها يظهر صدق المعتقد وأصالته . ذلك أن الدين الذى يفسر الوجود ، ظاهره وباطنه تفسيراً لا يقف عند حدود زمنية ولا تهدمه اكتشافات علمية ، أو تفض من قيمة خلوده أساليب تطورية ، أو وثبات مدنية وأفكار تقدمية . وآثار حضارية . هذا الدين الذى هو مصباح يضىء جوانب الوجود . ويترك كشف الجزئيات وتفسيرها والانتفاع بها إلى قدرة الرأى ومدى قوة نظره وحدة بصيرته ، ومكتسباته التجريبيه والتقدمية .

إنما هو أضواء على الطريق . وعلامات بها يهتدى السائرون . فإذا تناول الكون فمثلا أشار إلى أنه عالم ملىء بالوجودات . وأنه مخلوق لغاية وبحكمة وإرادة وأن للانسان صلة به وجودا وبقاء . ثم يدعو إلى كشف خباياه والبحث عن أسراره وقواه . وإزاحة الأستار عن محتوياته و آلائه . فإذا كان القرآن الكريم ، كتاب الإسلام الخالد . يقول « قل أنظروا ماذا فى السماوات والأرض » فإنما يعنى بذلك والله أعلم . أن النظر هنا هو توجيه القوة الفاحصة . والنظرة العملية الباحثة . والإرادة الخيرة المتوثبة . لا نظر البصر ونزعة الاعتبار فقط هذا الأسلوب الدافع للقوى إنما يراد به توجيه العقل العملى والقوى الكاشفة فى الإنسان إلى أشياء السموات وأشياء الأرض : لأنه

خلقكم وخلق لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه » ومن ذلك ترى هذا التوجيه الدينى أضواء على الطريق وهى بذلك لا تتعارض أو تتضارب مع التقدم العلمى أو التطور الكشفى . بل الأمر بالعكس . كلما زادت المعارف والعلوم وارتقت الكشوف وكثرت الطرق العلمية . كلما كان ذلك مؤيداً ومناصراً لهذه الخطة العلمية التى سبقت الزمن بعشرات القرون . هذا جانب .

ومن جهة أخرى يسلط الأضواء الكاشفة والحاسمة على الوجود الإنسانى نفسه من حيث هو الكائن فى سلسلة الكائنات الحية على الأرض ولقد كرمنا بنى آدم . ويبرز أسباب تحميله أمانة الاستخلاف وتبعة العمران . فهو إذا تعلق بالتراب ولصق بالطين وكان همه البطن فقط وفلسفة الخبز لاغير فقد انحصرت قواه ولم يجاوز أخاه الحيوان البطنى الذى يعيش على النبات أو الأشياء البطنية . وهو ليس كذلك . بل هو الكائن الفريد الذى عمر الأرض وكتب التاريخ وأقام المدنيات وشيد الحضارات وسطر التجارب وفلسف المواقف فى نحل ومذاهب . وإذا هو حلق فى آفاق ما بعد الطعام وانصرف عن عمارة الأرض فقد جاوز رسالته وانصرف عن استكمال وجوده وتأدية دوره الكونى . وسواء كان هذا التحليق فى آفاق روحانية صرفه أو فلسفات عقلانية بحته . وها هو القرآن الكريم يقول « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك » . وفيما آتاك الله . إشارة جميلة ولمحة رائعة إلى القوى الإنسانية التى تتم بها وحدة الإنسان من شهوة وعقل ، وروح وأن هذه القوى التى يتفاعل الإنسان الحى بسببها إنما هى قسمة بين باطن الإنسان وظاهره بين دنياه المليئة بالأشياء من حوله . وبين خفيه الذى يشعر به عند الخلوة والفكرة والصفاء . دنياه الروحية المشرقة بالنور والفيوضات . ومن عجب فى أمر الإسلام أنه يرى أن صلاح الظاهر مرتبط بصلاح الباطن واستقامة العقل . وأن سمو وجودنا ونفع تعقلنا مرهون بالتفاعل والاندفاع نحو الحياة بكل ما فيها من ظاهر وباطن ، فهو ليس رهبانية جوانيه . ولا نزعة انعزالية تخلصية . وليس مادية حيوانية ، بل هو يقيم الوجود الأمثل . والغاية المشرفة للفرد والجماعة والبشرية على أساس من حقيقة الوضع الكونى . ثم هو فى كل ذلك يربط ما فى دنيانا بأكبر ما فيها ، ثم يبين فى إحكام ودقة قوة الربط ومكانة الانسجام وغاية الوحدة الوجودية بين كل أشياء الحياة .

ومن حيث إن الأمر كذلك رأينا القرآن الكريم ، شريعة الله وطريق الحق . وسبيل الرشاد . يقيم التنظيم الفردى لقوى الإنسان والتنظيم الجماعى لأفراد المجتمع . والشكل التعاونى لجماعات البشرية على أسس من العدالة والتوازن . وهو من أجل ذلك قد تناول كل القوى ، والغرائز والاتجاهات . وأحاطها بسور من النور ليجمع نافرها ويرد ناشزها وعاديها . ويكبح جماح شاردها . ويقوى ويدفع صالحها وناضجها ، والأصل فى ذلك كما أشرنا فى مقال سابق . هو أن رسالة الإسلام تنظيم لقوى الفرد والجماعة الإنسانية على أساس من الدفع وإثبات الوجود . دون كيف أو مصادرة . ودون بتر أو مهاترة تنظيم يستمد فلسفته الغائية من الاحتياجات الإنسانية . من حيث التكوين الوجودى . ومن حيث التفسير الكونى . ومن حيث الموقف الالتزامى فى الحياة : لذلك رأينا كل ما من شأنه أن يزيد فى سرعة إنجاز هذه الغاية ، أو يدفع إلى ساحة النفع الشريف . ولا يتعارض مع أساليب التربية القويمة والطريقة الحكيمة : كل ما من شأنه نفع الإنسان إيجابا أو استئصال أو جلب خير سلبا ولا يضاد الوسائل النبيلة : كل ذلك يقره الإسلام فيما يقر وكثيراً ما رأينا أموراً واتجاهات فى بعض القبائل أو الأمم والمجتمعات التى دخلت فى حوزته ؛ لم ير الرسول عليه الصلاة والسلام أو الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ، لا عن هوى أو غرض ، ولا عن قصور أو ضيق بل عن إرشاد من الله الحكيم أو أثر من آثار رسوله الكريم لم يروا بأساً ولا حرجا فى العمل بها أو الابقاء عليها . ذلك لأن التجربة الناضجة . والهدف النبيل : ما دامت الوسيلة نظيفة لا يصح أن يحرم منها الانسان . ولأنها تمثل جزءاً من وجوده الحى الهادف وليس الانسان إلا تاريخا أو ليس التاريخ إلا جزءا من كيان الانسان والحياة .

والدين هو تنظيم لهذه القوى الهادرة . ودفع وحث للاستعدادات الراكدة وإيمان بالحياة والتاريخ .

وهو الحياة غير شهوة الفرج والبطن والحواس . وقوة الذهن ولمحة الفكر واستطلاعات الفعل . وإشراقات الروح وصفاء الحيوانية الذائبة ؟ هل الحياة غير هذه الثلاثة . الحواس وشهواتها . والعقول واكتشافاتها والروح واشراقاتها ليس الانسان غير ذلك إلا أنه لا يعيش بها منعزلا عن الآخرين : أو خارج أسوار الحياة بما فيها وكيف يكون كذلك وهو ليس إنسانا إلا لانه أنس بالآخرين فى زحمة الحياة

نساء صوفيات

٤ ـ عمرة إمرأة حبيب العجمى

للأستاذ فوزى عرفه

فى الحديث عن النساء الصوفيات تصادف الباحث صعوبتان : الصعوبة الأولى هى ندرة المراجع التى تتحدث عن النساء الصوفيات سواء فى الكتب الصوفية أو فى كتب التراجم بصرف النظر عن رابعة العدوية التى نالت شهرة تكاد لا تشاركها فيها أى صوفية جليلة والصعوبة الثانية تتمثل فى التضارب الظاهر بين روايات هذه المراجع النادرة عندما تتناول شخصية من هذه الشخصيات .

ولعل القارىء أن يكون قد لاحظ هاتين الصعوبتين عند خلط الكتاب بين شخصيتى رابعة العدوية ورابعة بنت اسمعيل الشامية وفى عدم معرفتنا اسم إمرأة رياح القيسى وفى جهل بعض المصادر التى تحيط بشخصية معاذة العدوية فيما أسلفنا من حديث عنها . إذا عرجنا على إمرأة حبيب العجمى اجتمعت لدينا هذه الصعوبات جميعاً وكونت أمامنا عقبات ينبغى على الباحث أن يلتى إليها جماع همه عندما يحاول أن يغذ سيره نحوه الوضوح .

فمن هى عمرة هذه ومن هو زوجها حبيب العجمى ؟ لا يمكننا أن نجيب على هذه الأسئلة بما يشفى الغليل إلا أنه من تحليل اسم زوجها يمكن لنا أن نقول فى شىء من الحذر إنه ربما كان من بلاد فارس ومن ثمة جاءه لقبه « العجمى » وأما هى فمجهولة النسب والأصل والوطن والنشأة والتربية . وغاية ما يمكن أن يقال فى هذا المجال أن عمرة قد وجدت حقيقة فى واقع الحياة وأن حبيبا العجمى زوجها قد وجد ولكن توضيح الصورة التى كان عليها زوجها هو الذى يحتاج إلى كثير من البحث والتمحيص .

ولعل حبيبا وزوجه عمرة أيضاً قد وجدا فى البصرة بعد تلك النشوة الغامرة التى ملأت نفوس سكان هذه المدينة بالتجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله . وقد مضى حبيب وعمرة ولم يخلفا لنا إلا صفحات طيبة لحياة صوفية مفعمة بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى فلما أراد المؤرخون أن يثبتوا هذه الاسماء العديدة التى أزدهرت فى الحياة الروحية الإسلامية اختلطت عليهم الاسماء والأفعال والصفات ، بل وزاد على ذلك خلط فى الصورة التى تترك عن الصوفى أو الصوفية بحيث نجد الصوفى مثلا يوصف بصفتين متناقضتين كما رأينا عند رياح القيس واستطعنا أن نحل هذا التناقض بافتراض له من الحقيقة سند وبرهان : أعنى أقترانه بزوجه ثم تأثيرها فيه تأثيراً كبيراً فاستطاعت أن تغير من أخلاقه وتسلكه فى عداد الصالحين فتاب وأناب وعلى هذا حللنا عقدة الصورتين المتناقضتين عنه بأن جعلنا أول حياته مشوبا بالأغراق فى اللذات وخاتمتها مغمورا بالانقطاع إلى العمل الصالح وبذلك وجهنا الأنظار إلى قيمة تأثير زوجه فى خلقه فكان ذلك فى نفس الوقت رفعا من شأنها وتكريما لذكراها .

ونفس هذه الصعوبة تقابلنا عند الحديث عن حبيب العجمى فمرة يوصف بأنه خامل الذكر قليل العمل ينام فى الليل والعباد يقطعونه فى الذكر والعبادة وتلومه زوجه على هذا القعود عن التقوى كما رأينا عند رياح القيس وقد روى لنا ذلك عنه صاحب الطبقات الكبرى ويدعم هذه الرواية صاحب روض الرياض فى حكايات الصالحين « الشيخ اليافعى اليمنى » : فصاحب الطبقات الكبرى يقول : « ومنهن يعنى عباد النساء — عمرة إمرأة حبيب رضى الله تعالى عنها كانت تقوم الليل كله فإذا جاء السحر قالت لزوجها : قم يارجل ، قد ذهب الليل وجاء النهار وانقض كوكب الملأ الأعلى وسارت قوافل الصالحين وأنت متأخر لا تدركهم » وصاحب روض الرياحين فى حكاية الصالحين » يروى لنا رواية تشبه هذه فيقول « روى أن عمرة إمرأة حبيب العجمى رضي الله عنهما كانت توقظه بالليل وبين يديك طريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين قد صارت قدامنا وبقينا نحن »

وخلاصة هاتين الروايتين أن حبيبا كان يتقاعس عن القيام فى الليل بينما زوجه

تتحرق شوقا إلى مداومة الاتصال بالله والاهتمام بالمناجاة والذكر لأن الطريق بعيد والزاد قليل وان يهيأ لمن يسلكه النجح إلا إذا أخذ له أهبته وأعد له دابته .

على أن هذه الصعوبة يمكن لنا أن نتغلب عليها بنفس الافتراض الذى افترضناه سابقاً عند الحديث عن امرأة رياح القيس ، ذلك لأن القرن الثانى من الهجرة وبداية القرن الثالث — وهو الزمن الذى نرجح فيه وجود عمرة وزوجها — كان مملوءاً بمباهج الحياة . فلا يستبعد أن يتجه الشباب فى أول حياتهم نحو هذه المباهج يقترفون منها وينهلون . ولكن البصرة تميزت بوجود طائفة عديدة من عباد النساء فى هذا الوقت منهن رابعة العدية وزوج رياح القيس وحيونه وغير هؤلاء وكثير ممن جعلن لهن تقليدا فى قضاء الليل فى الذكر والتهجد وارتبطن برابطة الروحية الصوفية . لهذا لا يستبعد أن تكون عمرة من هؤلاء النسوة أو سمعت عنهن فلما تزوجت حبيبنا العجمى أثرت فيه بخلقها الكريم وجعلته يشرب من معين الروح الصافى فغب منه كأسه وهو ظمآن .

تلك صعوبة يمكن أن نحلها على هذا الوجه ويبقى أمران :

الأمر الأول : أن حبيبا مرة يوصف على أنه فقير ومرة أخرى يوصف على أنه غنى ومن عجيب الأمر أن الذى يروى لنا هاتين الصفتين على تناقضهما صاحب «روض الرياضة» فيقول « حكى أن حبيبا العجمى (رضي الله تعالى عنه) كانت له زوجة سيئة الخلق فقالت له يوما : إذا لم يفتح الله عليك بشيء فاجر نفسك واعمل فى الفاعل فخرج إلى الجبانة وصلى إلى العشاء ثم أتى بيته خجلا من توبيخها مشغول القلب من شرها فقالت : أين اجرتك ؟ فقال لها : إن الذى استأجرنى الكريم استحيت من إستعجاله . فمكث كذلك أياما يصلى فى الجبانة . إلى الليل وتقول له أين أجرتك ؟ كل يوم يقول لها : استأجرنى كريم فخفت من استعجاله فلما طال عليها الحال قالت له اطلب أجرتك من هذا أو أجر نفسك من غيره فوعدها أنه يطلب الأجر وخرج إلى عادته فلما أمسى الليل عاد إلى منزله خائفاً منها فرأى فى بيته دخانا ومائدة منصوبة وزوجته مستبشرة فرحة فقالت له قد بعث لنا الذى استأجرك مابعث الكرام وقال رسوله لى قولى لحبيب يجد فى العمل وليعلم أنا لم نؤخر أجرته بخلا ولاعدما فيقر عينا

ويطيب نفساً . ثم أرته أكياساً مملوءة دنانير فبكى حبيب وقال لزوجته : هذه الأجرة من كريم بيده خزائن السماوات والأرض فلما سمعت ذلك تابت إلى الله تعالى وأقسمت أنها لا تعود إلى ما كانت عليه .

كما يروى عنه أيضا أنه لم يكن يملك إلا قوت يومه أو ما يكاد يكفيه بجهد فيقول « روى أنه أتاه سائل وقد عجنت أمرأته عجينا وذهب يجيء بنار لتخبزه فقال للسائل خذ العجين فأخذه فجاءت أمرأته وقالت له : أين العجين فقال لها : ذهبوا به يخبزونه فلما أكثرت عليه أخبرها فقالت : سبحان الله إلا بدلنا من شيء نأكله فإذا برجل قد جاء بحفنة عظيمة مملوءة خبز ولحما فقالت : ما أسرع ما رده عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحما . رضى الله عنه ونفعنا به » .

وذلك جانب يصوره لنا بمظهر الفقير المحتاج . وأما الجانب الآخر فيصوره لنا فى صورة الرجل الذى يشترى نفسه من ربه بآلاف الجنيهات فيقول « يروى عن حبيب العجمى رضى الله عنه أنه اشترى نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألف درهم أخرج عشرة آلاف وقال : يارب إن كنت قبلت تلك فهذه شكرا لها ثم أخرج عشرة آلاف ثالثة وقال : إلهى إن لم تقبل الأولى والثانية فاقبل هذه ثم أخرج عشرة آلاف رابعة وقال : إلهى إن كنت قبلت الثالثة فهذه شكرا لها .

فها هنا صورتان متضاربتان مختلفتان تماماً عن هذا الولى الكريم — رضى الله تعالى عنه — ونحن لا يسعنا إلا أن نفترض أحد فرضين فى هذا المجال فإما أنه كان غنيا فى أول حياته ثم افتقر أو نكب أو أصابته هزة نفسية جعلته يؤثر الأخير على الدنيا فترك ماله واشترى به نفسه ثم ألمت به الفاقة وحل به الضيق أو أن صاحب روض الرياحين يريد أن يصوره لنا فى صورة الولى الكريم الذى تعرض له حالياً الفقر والغنى وهو فى كلتا الحالتين صابر شاكر لا يأبه للمال إن أقبل بل ويتصدق به ولا يكترث للفاقة إن ألمت وحتى الخوف من المستقبل والحرص على مكاسب الحياة أو تدبيرها لا يمنعه من التصدق على المسكين بمجرد أن يأتى إليه طالبا المعونة وسد الحاجة ، وهذا الغرض هو الأقرب إلى القبول لأنه يتمشى مع روح كتاب روض الرياحين فى حكايات الصالحين إذ يوصى العنوان بأن يريد أن يكتب كرامات الصالحين

وما استطاعوا أن يحققوه باتكالهم على الله تعالى فى حياتهم ومعاشهم والدليل على ذلك تلك الرواية التى يرويها نفس الكتاب عنه فيقول : « روى أنه أصاب الناس مجاعة فاشترى حبيب رضى الله عنه طعاما وفرقه على المساكين ثم خاط أكيسة فجعله تحت رأسه ثم دعا الله تبارك وتعالى فجاءه أصحاب الطعام يتقاضونه فأخرج الأكيسة فإذا هى مملوءة دراهم فوزنها فإذا هى قدر حقوقهم فدفعها إليهم » .

فها هنا يتضح لنا أن المدد أتاه من عند الله ووصل إليه فى ساعة هو أحوج فيها إلى مثل هذا المدد حتى يستطيع أن يرد عنه غائلة الدائنين .

ولكن مع قبولنا هذا الغرض يظل أمامنا سؤال هام وهو : كم عدد النسوة اللائى اقترن لهن حبيب ؟ إذ يروى لنا صاحب روض الرياحين أنه كانت له زوجة سيئة الخلق ويصف لنا من أخلاق هذه الزوجة أشياء لا يمكن أن تكون صدرت من عمرة خصوصاً وأنه تحدث عنها حديث المعظم لها المعجب بطريقتها . ومعنى هذا أن حبيبا تزوج اثنتين إحداهما يحتمل قسوتها ويعينه الله عليها وعلى قسوتها بالفرج الذى يكون على هيئة الكرامة من الله تعالى له . وهذا الزواج من الاثنتين لا يوجب قيامه بجميع شئون الزواج من الممارسة الزوجية وإنما معناه فى عرف الصوفية — وخصوصاً صوفية البصرة — نوع من المصاحبة والمصادقة . وقد رأينا أن رابعة امتنعت عن الزواج بعد توبتها وأن امرأة رياح القيس كانت تحسن معاملة زوجها مع تصريحه بعدم معاشرته لها وحتى رابعة بنت إسماعيل رأينا أنها اقترنت لإشفاقها عليه . ومن ثمة يمكن لنا أن نقول أن زواج حبيب بعمرة ربما كان مؤسسا على هذه المبادىء التى أخذ بها صوفية البصرة ومن والاهم من السالكين فى الطريق حتى يشغلهم عن ربهم شاغل من ولد أو غرض أو لذة أو تمتع .

* * *

تهيأ لنا من هذه الخيوط الدقيقة نسيج متكامل عن شخصية حبيب وزوجه عمرة فقد كان حبيب أعجميا وربما سكن البصرة هو وعمرة وتزوج من عمرة ومن أخرى سيئة الخلق وكان وليا من اولياء الله ذاكرا مات وهبها الله تعالى له كما كان يخرج نهاره كما يفعل صوفية بلده إلى الجبانة وبين الموتى ليستعبر ويقضى سحابة يومه فى العبادة

والتقوى وكانت زوجه ذات تأثير كبير على سلوكه سبيل الصالحين بما كانت تقضى إليه من الحكم الغالية والمواعظ الثمينة والنواهى الزاجرة .

على أن ما يلفت النظر فى تصوف هذين الزوجين الكريمين ما ورد عن حبيب من أنه اشترى نفسه بأربعين ألف درهم أخرجها على علانية من الناس وذلك تمشيا مع قوله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » فهذا الشراء أسلوب اصطنعه حبيب إلا أنه يمنى من العبادة والتقوى وأداء الفرائض غير منقوصة وقد فهم هو ذلك عندما جاءه الرسول ينقده أجره عن عمله فقال لزوجته « قولى لحبيب يجد فى العمل » فالعبادة والفريضة نور كلما غمر المؤمن استزاده وكلما وصل إلى القلب أحياه وأسعفه .

وقد فرقت عمرة بين وجعين وألمين : ألم القلب وألم الجسد وروت أن الألم الحقيق ليس هو ألم الجسد إنما هو ألم القلب . ويروى فى ذلك أنها اشتكت من عينيها مرة فقيل لها : ما حال وجع عينيك ؟ فقالت : وجع قلبى أشد فهذه التفرقة بين وجع القلب ووجع العين سنجدها تتضح عند من يأتى بعدها من الصوفية فيؤلف أبو طالب المكى قوت القلوب وغيره فى طب القلوب وكل ذلك ليخططوا للبشر طريق الهداية الصحيحة والسعادة الحقيقية والرحمة المزجاة . والفضل فى ذلك راجع لمن بدأوا الطريق وفتحوا الصخور حتى مهدوا الدروب لمن جاء بعدهم من السالكين . رضوان الله عليهم أجمعين .

أخبار صوفية

موقف رجال الطرق
من الحركات الرجعية

عقد وكلاء المشيخة العامة للطرق الصوفية ، مؤتمرات شعبية كبرى ، تناول فيها الحديث عن الحركات الرجعية والمؤتمرات الاستعمارية بمناسبة الحركة الإنفصالية فى سوريا ، التي استهدفت القضاء على مكاسب الشعب العربى الاشتراكية ، وإطفاء روح القومية العربية الحرة المناضلة وبأبى الله إلا أن يتم نور العروبة ، وينصر رجالها ودعاتها وحملة رسالتها فى سبيل الخير والسلام وعدالة الله .

وقد أبرقوا عقب إجتماعاتهم إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر معلنين تأييدهم المطلق لسيادته ، وعزمهم القوى على الاستمرار فى الكفاح والنضال حتى تعلو كلمة الحق وتتم نعمة الله .

وقد تفضل السيد الرئيس فشملهم بعطفه ، فابرق إلى سيادتهم رداً على برقياتهم بالبرقيات التالية .

برقية من السيد الرئيس
لوكيل المشيخة العامة بالإسكندية

السادة ابراهيم مخلوف وكيل المشيخة العامة للطرق الصوفية بالإسكندية وزملائه :

« اشكركم واخوانكم أصدق الشكر على مشاعركم المعربين عنها تجاه الأحداث التى المت بسورية . وانا نرجو أن يعز الله العروبة ويحبط كيد أعدائها دعاة الرجعية والانفصالية . وأعرب لكم وللجميع عن أطيب تمنيات السداد والتوفيق

جمال عبد الناصر

برقية من السد رئيس الجمهورية
لوكيل المشيخة العامة بشربين

وكيل المشيخة العامه للطرق الصوفية بشربين :

« أشكركم واخوانكم على مشاعركم الخالصة ، راجين أن ينصر الله العروبة ويخذل أعدائها ، دعاة الانفصال والرجعية وأعرب لكم وللجميع عن أطيب التمنيات :

جمال عبد الناصر

برقية من السيد رئيس الجمهورية
لوكيل المشيخة العامة بزفتى

الشيخ مصطفى عبد الغنى وكيل مشيخة عموم الطرق الصوفيه بزفتى :

« أشكركم واخوانكم على مشاعركم الخالصة راجين أن ينصر الله العروبه ويخذل أعدائها ، دعاة الإنفصالية والرجعية :

واعرب لكم وللجميع عن أطيب التمنيات

جمال عبد الناصر

المجلس الصوفى الأعلى

اجتمع المجلس الصوفى الأعلى بجلسته المنعقدة مساء الأحد ٢ رجب ١٣٨١ هـ الموافق ١٠ ديسمبر ١٩٦١ وأصدر القرارات التالية .

أولا : بالنسبة للطريقة البرهامية التى خلت بوفاة شيخها المرحوم السيد محمد سيد عاشور إلى رحمة الله .

قرر المجلس تعيين السيد على محمد محمد عاشور نجل السيد محمد محمد شيخا للطريقة

البرهامية وتعيين السيد جمال الدين محمد عاشور الشهير بشرف محمد عاشور شقيق السيد محمد محمد عاشور وكيلا لادارة شئون الطريق المذكور ومشرفا عاما عليها حتى يتكامل لشيخ الطريقه رشده الصوفى .

ثانياً : بالنسبة للطريقة البيومية التى خلت بوفاة شيخها السيد محمود أحمد فضل إلى رحمة الله .

قرر المجلس تعيين السيد / حامد احمد فضل محمد عبد الغنى شيخاً للطريقة البيومية خلفاً لشقيقه المرحوم السيد محمود احمد فضل محمد عبد الغنى .

ثالثاً : بالنسبة للامور المنسوبة إلى السيد عند السلام ابراهيم على سلمان شيخ السادة الإمبابية الأحمدية .

قرر المجلس بأغلبية الآراء إيقاف السيد ابراهيم على سلمان من وظيفته كشيخ للطريقة الإمبابية وعدم تدخله فى الشئون الصوفية وقد أخطرت مديرية أمن القاهرة لإتخاذ اللازم لتنفيذ قرار الإيقاف وإعلان المذكور عن طريق وزارة الداخلية وأخذ التعهد اللازم عليه بالعمل به وعدم مذاولته للنشاط الصوفى .

رابعاً : قرر المجلس تعيين خدم للأضرحة الآتية :

أولا : تعيين الشيخ عزت احمد منير المسلمى خادماً لضريح ولى الله والده الشيخ أحمد منير المسلمى » الكائن بناحية برمكيم مركز دير نجم .

ثانياً : تعيين الشيخ سالم حسن درويش خادماً لضريح ولى الله « الحاج أحمد المرحلى » الكائن بناحيه الجماليه مركز الحسينية .

ثالثاً : تعيين كل من الشيخ حسن محمد حسن الغنيمى ، والشيخ عبد العزيز محمد حسن الشيخ الغنيمى خادمين لضريح ولى الله « الشيخ أحمد عثمان أبى بدر المغربى الشملة » الكائن بناحية مرقص مركز شبراخيت .

إعفاء المذكورين بعد من توكيلات المشيخة العامة

لصالح العمل قرر السيد صاحب السماحة شيخ المشايخ إعفاء السادة وكلاء المشيخة العامة من توكيلاتهم وأصبحت لاعلاقة لهم بوظائفهم اعتباراً من اليوم .

أولا : إعفاء السيد / جميل حفنى أمين وكيل المشيخة العامة بمركز أبو حماد من وظيفته .

ثانياً : إعفاء السيد / بكرى أحمد السيد فرحان وكيل المشيخة العامة بمركز فاقوس من وظيفته .

ثالثاً : إعفاء السيد / أحمد محجوب الغراف وكيل المشيخة بمركز أبو المطامير من وظيفته .

رابعاً : اعفاء السيد ، ضياء الدين حسن لطف الشهير بجلال وكيل المشيخة بمركز منفلوط من وظيفته .

إعتمدت المشيخة العامة التعيينات الآتية :

أولا : تعيين الصول عثمان محمد سلمان خليفة خلفاء للطريقة الأحمدية المرازقة عن قسم رأس التين باسكندرية .

ثانياً : تعيين السيد محمد بسيونى حرش بأبى منجوج نائبا للطريقة الأحمدية المرازقة عن مركز شبرا خيت .

ثالثاً : تعيين الأستاذ محمد عفيفى علام بعزبة أقلاقه بحيره نائبا للطريقة الأحمدية المرازقة عن مركز دمنهور .

رابعاً : تعيين الأستاذ حمد محمد أبو حيطه المحامى بعزبته بالشركة تبع الكوم الأخضر بحيرة نائبا للطريقة الأحمدية المرازقة بمحافظة البحيرة .

خامساً : تعيين الشيخ عبد العزيز إسماعيل سعد شيخ خضراء الوايلى الكبير نائبا للطريقة الأحمدية المرازقة بدائرة الوايلى الكبير وضواحيه .

سادساً : تعيين الشيخ عبد الهادى السيد البشبيشى من كفر سعد البلد نائبا للطريقة الأحمدية المرازقة بمركز كفر سعد .

سابعاً : تعيين الشيخ إسماعيل خليل يوسف من السلطان حسن نائبا للطريقة الأحمدية المرازقة بمركز أبو قرقاص .

* * *

استدراك : نشر فى عدد المجلة السادس الصادر فى نوفمبر ١٩٦١ فى باب احتفال السادة وكلاء المشيخة العامة بالمولد النبوى الشريف اسم السيد على على حجازى وكيل المشيخة بمركز بركة السبع محرفا باسم على البرق — والمجلة تأسف لهذا الخطأ وصحة الاسم هو السيد /على على حجازى .

فقيدين كريمين

تنعى المشيخة العامة للطرق الصوفية مع عميق حزنها للعالمين العربى والإسلامى الراحلين الكريمين ، السيد محمد محمد عاشور شيخ الطريقة البرهامية والسيد محمود أحمد فضل شيخ الطريقة البيومية. بعد حياة مباركة امضياها فى خدمة الدعوة الربانية وإرشاد الناس والأخذ بيدهم إلى الطريق الصاعد إلى الله .

رحمهما الله وأكرم مثواهما فى جواره فى مقعد صدق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

موالد العارفين

مولد الإمام الرفاعى

احتفل الأستاذ السيد محمود يسن شيخ السادة الرفاعية بمولد العارف القطب جده السيد أحمد الرفاعى .

وكانت أيام المولد الكبير عامرة بالذكر والبر والدعوة إلى الله .

وفى الليلة الختامية أقيم حفل كبير تحدث فيه سماحة السيد / الأستاذ محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية حديثاً صوفياً توجيهيا مستفيضا كما تحدث الأستاذ حسن كامل الملطاوى وكيل وزارة الخزانة والدكتور مصطفى كمال وصفى وفضيلة السيد محمد أبو العيون وأختتم الحفل كما بدأ بالقرآن الكريم .

مولد السيدة زينب

تحتفل القاهرة بل الجمهورية العربية بمولد الطاهرة السيدة زينب حفيدة النبى رضوان الله عليها حيث تهرع الجماهير الخاشعة ذاكرة لله ضارعة فى كل يوم .

الحامدية الشاذلية

وسيحتفل الأستاذ السيد إبراهيم سلامه الراضى شيخ السادة الحامدية الشاذلية بمولد والده العارف المربى السيد سلامة الراضى جريا على عادته سنويا لمدة ثلاثة أيام اعتباراً من ٢ يناير القادم حتى الرابع منه .

السادة السمانية

يحتفل السيد عبد العزيز محمد إبراهيم الجمل شيخ السادة السمانية الخلوتية بمولد جده سيدى حمد وسمان لمدة ثلاثة أيام ابتداء من ٤ يناير القادم .

مولد القطب أبى الريش

أقام السيد عبد الجليل الزينى وكيل المشيخة العامة حفلا بمولد أبى الريش شهده السادة فضيلة شيخ المعهد الدينى بدمنهور وفضيلة مفتش المساجد والأساتذة صابر عاشور وعلى خليفة . والسيد الحراثى نقيب الإشراف .

زيوت التعاون دائماً في المقدمة للخدمة الشاقة

الجمعية التعاونية للبترول

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور محمد مصطفى حلمى
الدكتور مصطفى كمال وصفى
الدكتور محمد وصفى
الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة
الأستاذ حسن عباس زكى
الأستاذ أحمد الشرباصى
الأستاذ فوزى عرفة

الأستاذ حسن كامل الملطاوى
الأستاذ محمود شلبى
الأستاذ ابراهيم الكواز
الأستاذ حسنى شكيبان
الأستاذ عبد الحفيظ القرنى
الأستاذ حامد الزفرى
سماحة السيد محمد علوان

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة : قصص صوفى
منهج التصوف : أخبار صـــوفية

الثمن ٥ قروش

القاهرة : مطابع دار الكتاب العربى بمصر : محمد حلمى المنياوى